Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

للثقافة الانسانية والتقدم

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS
١٣٢
ايار ١٩٩١
- السنة الثانية عشرة -
No. (132) May 1991
الثمن ٤ شيكل

- الاعتراف بالحق الفلسطيني... أولا • وداعا أينها الحرب •
- القضية الفلسطينية إلى أين...؟! لازمة الخليج دروس وعبر •
- خطر الاستيطان ومثابرة الأرض بالسلام •
- الأمم المتحدة - العالم الجديد • المسرح في أسرائيل •

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب
للثقافة الانسانية والتقدم

العدد (١٣٢) أيار ١٩٩١ - السنة الثانية عشرة - No. (132) May 1991

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al - As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02) 856931

رئيس التحرير المسؤول
اسعد الاسعد

هذا العدد

صدر العدد الاول في تشرين الثاني ١٩٧٩

- حتى لا نغرق ثانية. الكاتب..... ٢
- الاعتراف بالحق الفلسطيني... اولا. اسعد الاسعد..... ٣
- بعد الحرب في الخليج: القضية الفلسطينية الى اين...؟! عدنان الكاشف..... ٥
- وداعا ايتها الحرب. اميل حبيبي..... ١٢
- خطر الاستيطان ومقايضة الارض بالسلام. اعداد: منير سلام..... ١٨
- ازمة الخليج دروس وعبر. صلاح عبد الشافي..... ٢١
- "الامم المتحدة - والعالم الجديد". محسن ابو رمضان..... ٢٥
- قائمة باسماء شهداء الشهر الحادي والاربعين للانتفاضة..... ٢٨
- المطلوب اطار قومي تقدمي للتفكير والممارسة. جبريل محمد..... ٢٩
- قراءة مع الاستاذ يعقوب الاطرش في "وتستمر الحياة". خالد البطراوي..... ٣٤
- لوركا شاعر اسبانيا العظيم. جورج ابراهيم..... ٣٩
- نبيل عناني وفضاءات التشكيل. ابراهيم المزين..... ٤٢
- المسرح في اسرائيل. انطوان شلحت..... ٤٧
- قصص قصيرة. احمد موسى عديلة، د. وائل ابو عرفة..... ٥٢
- هنا الجودي/شعر. عبد الحميد طقش..... ٥٥
- الثقافة والخروج على السائد. وسيم الكردي..... ٥٦

لوحة الغلاف للفنان الفلسطيني جمال الافغاني

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	اوروبا	بلدان اخرى
للافراد	٣٠	٧٥	١٠٠
للمؤسسات	٥٠	١٥٠	٢٠٠

القدس - هاتف: ٠٢/٨٥٦٩٣١ - ص.ب: ٢٠٤٨٩

اول الكلام

من هنا لا يقشعر بدنه، لاي معاناة تتعرض لها امة من الامم، ايا كانت هذه الامة، ولذلك فاننا اشد المتحاطفين مع الشعب الكردي.

ولاننا نرفض ان يستغل احد معاناتنا، فاننا نرفض ان يستغل احد معاناة الشعب الكردي، لتحقيق مكاسب واهداف ليست لها علاقة برفع المعاناة عنهم، ان استغلال التحالف بقيادة الولايات المتحدة معاناة الاكراد، بالشكل الذي تقوم به الان، بعيدا عن الامم المتحدة وهيئاتها السياسية والانسانية، يفرغ المسألة من مضمونها، بل ويزيد من معاناة الاكراد انفسهم، ان رعاية الامم المتحدة لاي اتفاق يتم بين الاكراد وحكومات الدول التي ينتمون اليها، هو الطريق الصحيح لوقف معاناتهم، ومثلما تجري مفاوضات عراقية - كردية، يجب البدء بمفاوضات كردية - تركية، وكذلك ايرانية، وسورية، وسوفييتية، لوضع حد لمعاناة الاكراد في هذه الدول، والتي تفوق معاناة اكراد العراق.

المحرر

Digitized by Birzeit University Library

حتى لا نغرق ثانية!

منذ تدفقت "الاموال الوطنية" على الاراضي المحتلة، انتشرت ظاهرة "الدكاكين الوطنية" فكانت سببا في "تعهير" النضال الوطني، تلك هي القاعدة، رغم ما تحمله من مرارة، وان كان هناك استثناءات، فهي قليلة جدا.

اليوم، بدأنا نسمع عن تدفق الاموال الاوروبية، عشرات الملايين، وفي الاراضي المحتلة، هناك عشرات "الدكاكين"، مؤسسات تنمية، شركات اغاثة في مختلف المجالات، قامت ولا تزال بدفع ملايين الدولارات لاقامة مشاريع تنمية اقتصادية، لصالح افراد او جماعات، او لصالحها، ونتساءل مع الاف المتسائلين من ابناء شعبنا الفلسطيني، ما هي القاعدة التي تحكم هذه المشاريع، وما هي الاسس التي تحكم قضايا الصرف والانفاق؟!، عشرات المشاريع تقام سنويا، مصانع، معامل، مزارع...الخ، تعمر سنة او سنتين، ثم لا تلبث ان تغلق، بعض هذه المشاريع، نجح، وحقق قسطا كبيرا من اهدافه، لكن هذه المشاريع، محدودة، وقليلة جدا.

اسباب التخبط القائم تعود الى عوامل وظروف مختلفة، بعض هذه العوامل، يتعلق بظروف خارجة عن ارادتنا، وارادة القائمين على هذه المشاريع، وبعضها يتعلق بنا، او بمعنى اخر، نحن نتحمل مسؤولية فشله، صحيح ان غياب السلطة الوطنية يجعل اقامة لجنة وطنية عليا للتخطيط، امرا مستحيلا، بالشكل الذي نتوخاه، لكن اقامة لجنة تنسيق بين هذه المؤسسات قضية ليست مستحيله، ولعل الاهم من لجنة التنسيق هذه، اقامة لجنة مراقبة مسؤولة، بعض هذه المؤسسات لديها مثل هذه اللجان، غير ان مشاريع المؤسسة، تخضع لرغبات الممولين الاوروبيين، ولا تملك هذه المؤسسات، سوى تنفيذ سياسة الطرف الممول.

بعض هذه الاموال - على سبيل المثال - خصصت لاقامة مشاريع للاسكان، وما ان سمع المعنيون حتى تراكضوا لاقامة جميعات الاسكان، وتقدموا بخرائط مرفقة بطلبات لتمويل مشاريعهم، ولا نظن احدا لا يبتهج لاقامة مثل هذه المشاريع، لكن تجربة اللجنة الاردنية - الفلسطينية المشتركة، وما رافقها من تجاوزات واخطاء لا تزال عالقة في ذهن الكثيرين، سواء ما يتعلق منها بشكل هذه المشاريع، او الجهات التي قامت بها، ونحن هنا نحاول الاجابة على تساؤل مشروع، كيف واين ولمن تقام هذه المساكن؟! ثم والاهم من ذلك، من هي الجهة المخولة والمؤهلة، للقيام بمثل هذه المشاريع؟!

نتساءل احيانا، لماذا لا تفكر هذه المؤسسات، باعتماد التوجه نحو اقامة جمعيات تعاونية زراعية او صناعية...الخ، فنوسع بذلك دائرة الافادة من هذه المساعدات؟!

على اية حال، فان ملف المعونات، هذه وغيرها، لم يعد من المحرمات ابدا، ويجب ان يفتح، بحيث يفهم الجميع، ان هذه الاموال والمساعدات، هي ملك للشعب الفلسطيني، ومحسوبة عليه، وبالتالي يجب ان لا تترك الامور على عواهنها، بدعوى ان الوقت، لم يحن بعد للمحاسبة.

وبرأينا ان حرب الخليج - رغم ما سببته من كوارث - الا ان بعض نتائجها كانت ايجابية، واهم هذه النتائج الايجابية، اعادة النظر في سبل الصرف والانفاق، وبالتالي فقد اغلقت الكثير من "الحنفيات" الى حد كبير، رغم استمرار بعضها، غير ان ما يتدفق الان من اوروبا، يجعلنا نتخوف من "الحنفيات الجديدة"، حتى لا نغرق ثانية في بحر تدفقها، في غير مصابها الصحيحة.

«الكاتب»

Digitized by Birzeit University Library

الاعتـــراف

بالحق الفلسطيني... اولا

أسعد الأسعد

للمرة الرابعة - خلال اقل من شهر - عاد وزير الخارجية الاميركي جيمس بيكر الى المنطقة، بهدف عقد سلسلة من اللقاءات والمشاورات مع المسؤولين في دول المنطقة، لتذليل العقبات التي تعترض طريق الحل السلمي على الطريقة الاميركية، ووفق المعايير التي يفرضها واقع الحال، بعد انتهاء حرب الخليج، على النحو الذي انتهت اليه.

ورغم التصريحات المتعاقبة للوزير الاميركي، وتاكيده على نهج الادارة الاميركية لحل القضية الفلسطينية، ووضع حد للصراع العربي - الاسرائيلي، فان اساس هذا الحل، قائم على عدم الضغط على الحكومة الاسرائيلية، والاسرائيليون من جانبهم، ما زالوا يراوحون عند نفس الطروحات السابقة، بل ان ما شهدته الاراضي الفلسطينية المحتلة، من تكثيف الاستيطان، واقامة نقاط استيطانية جديدة، يؤكد ان الاسرائيليين ما زالوا يتمسكون بمواقفهم القديمة نفسها، القائمة على عدم الانسحاب من الاراضي المحتلة، وعدم القبول بحل قائم على تطبيق قرارات مجلس الامن، وخصوصا قراري ٢٤٢، ٣٣٨.

واما ما يتعلق بالصيغة الجديدة، التي طرحها رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، فهي كما جاءت حقيقة في التوضيحات التي طرحها شامير نفسه، والتي اشار فيها الى ان الحكومة الذاتية، ليست الا الحكم الذاتي، حسب التفسير الاسرائيلي له، بل ان بعض هذه التفسيرات، تذهب الى ابعد من ذلك، فتؤكد ان الادارة المحلية للمناطق المحتلة، سوف تكون موازية، وهي بالتالي تستمد سلطتها من السلطة الاسرائيلية، وهذا يعيدنا الى المفهوم الاسرائيلي القديم، الذي يفسر الحكم الذاتي على انه حكم للسكان، وليس للارض.

وفي تصريحات شامير التي ادلى بها امام زعماء حركة النهضة - هتحياه - يوم الاثنين ١٩٩١/٤/٢٢، ومن بعد لصحيفة لوموند الفرنسية، ما يوضح ذلك تماما، حيث اكد رئيس الوزراء الاسرائيلي معارضته لمبدأ "الارض مقابل السلام"، وتأكيده من جديد على التمسك بـ "ارض اسرائيل"، دون اي استعداد للتنازل "عن اية قطعة منها".

ولان الحكومة الاسرائيلية، تدرك ان قبولها بمؤتمر دولي، برعاية الامم المتحدة، سوف يؤدي الى تطبيقها لقرارات مجلس الامن، فهي ترفض هذا المؤتمر، تشاركها في ذلك الادارة الاميركية، التي تقوم مساعيها على انعقاد مؤتمر اقليمي، يؤدي الى اجراء مباحثات ثنائية مباشرة، مع استثناء منظمة التحرير الفلسطينية، والاستعاضة عنها، بوفد اردني - فلسطيني مشترك، تحدد الحكومة الاسرائيلية شكل الاعضاء الفلسطينيين وجوهرهم، الذين سيحضرون المؤتمر مع الوفد الاردني.

كما ان الاسرائيليين، ما زالوا يرفضون تحديد الاسس التي يجب ان يستند اليها المؤتمر المقترح، بل انهم يذهبون الى ابعد من ذلك، حين يشيرون الى ان الحل يجب ان لا يؤدي بالضرورة الى انسحاب اسرائيل

Digitized by Birzeit University Library

من الاراضي المحتلة، بالاضافة الى ذلك، فانهم يسعون الى ادخال دول الخليج والسعودية بهدف التوصل الى اقامة علاقات اقتصادية معها، ولعل في رسالة اعضاء الكونغرس الاميركي والتي وقعها ٥٤ عضوا، يوم الجمعة ١٩٩١/٤/٢٦، الى الملك السعودي ما يشير الى ذلك، حيث دعوه للدخول والمشاركة في المؤتمر الاقليمي المقترح.

الفلسطينيون من جانبهم، ما زالوا يرون في الزيارات المكوكية التي يقوم بها بيكر للمنطقة، منذ انتهاء حرب الخليج، ليس الا محاولة لاضاعة الوقت، وطمأنة الحلفاء العرب - مصر وسوريا والسعودية - ومحاولة لفرض حل امريكي، على الطريقة التي تفرضها نتائج الحرب، وكما صيغت وثيقة استسلام العراق، يحاول بيكر، ان يصوغ وثيقة اخرى تتعلق بالقضية الفلسطينية، دون ما حاجة الى تسميتها بما تحمل في مضمونها من معنى، وان لم يكن الحال كذلك، فما حاجتنا الى مؤتمر اقليمي او غير اقليمي، طالما ان مجلس الامن كان اصدر قرارات تتعلق بحل هذه القضية، بمعنى آخر فان الادارة الاميركية، تتصرف بمنطق المنتصر والمهزوم، رغم ان الفلسطينيين لم يكونوا طرفا مباشرا في موضوع الخليج.

المجلس المركزي الفلسطيني من جانبه، اكد على الثوابت الفلسطينية، وفق ما تطرحه الشرعية الدولية في قراراتها المتعاقبة، ولكنه في اجتماعه الاخير اواخر الشهر الماضي في تونس، ترك الباب مفتوحا امام المساعي الاميركية، على الرغم من عدم الثقة بالاميركيين ومساعيهم، وقد اكد المجلس المركزي الفلسطيني، على ان حلا للقضية الفلسطينية يستند الى قرارات مجلس الامن، ويؤدي في النهاية الى انسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها في العام ١٩٦٧، سوف تقبل به منظمة التحرير، وبالتالي، قد يؤدي ذلك الى موافقة سوريا ومصر، على حضور مؤتمر اقليمي بمشاركة الاتحاد السوفييتي والمجموعة الاوروبية وممثل عن الامم المتحدة، خصوصا، وان اسرائيل عادت وقبلت بمشاركة المجموعة الاوروبية في الجهود المبذولة، وحضور المؤتمر الذي يجري الاعداد له وفق شروط محددة.

اما الاتحاد السوفييتي، فان اعلانه القبول بحضور المؤتمر المذكور، يدفع الى الاعتقاد، بان الوزير الامريكي قطع شوطا كبيرا في تذليل العقبات امام مهمته، ولكن السؤال الذي يظل قائما، الى اي مدى يمكن لاسرائيل ان تمضي في هذا الاتجاه؟ فاي حل لا يؤدي الى انسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧، واي حل لا يقوم على حق تقرير المصير للفلسطينيين، سوف لن يؤدي الى حل الصراع العربي الاسرائيلي، ولن يحل القضية الفلسطينية، فهل يمكن الرهان ثانية، على جلسة افتتاحية، ثم تعود الوفود الى بلادها للتشاور، ولا تعود ثانية؟! كما حدث في مؤتمر جنيف، بعيد حرب اكتوبر؟!

ان الرغبة الصادقة في السلام، يجب ان تبدأ باعلان من كلا الطرفين، الفلسطيني والاسرائيلي، تؤكد على اعتراف كل طرف بالاخر، الفلسطينيون من جانبهم اعلنوا ذلك، فلماذا لا يقوم الاسرائيلون بذلك؟! الفلسطينيون بحاجة الى اعلان نوايا، اعلان اسرائيلي رسمي وواضح، بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره - على الاقل - يرافقه البدء فورا باجراءات عملية تؤكد صدق الاسرائيليين في توجههم الى السلام مع الفلسطينيين، وقف الاستيطان، فتح الجامعات والمدارس والمعاهد المغلقة، اطلاق سراح المعتقلين...الخ. خطوة مقابل خطوة، وبدون ذلك، لا اظن احدا من الفلسطينيين، يثق بجدية ما يجري، او بجدواه. فما بالك اذا كانت الاجراءات ضد الفلسطينيين قد اتسعت، وتصاعدت، وخصوصا ما يتعلق بالمصادرات والاستيطان، وحظر التجول والاعتقالات؟

ان اعتماد الحكومة الاسرائيلية او الادارة الاميركية واقع اللحظة الآنية، في تحديد الموقف من القضية الفلسطينية، وشكل الحل لن يؤدي الى اقامة سلام ثابت ودائم في المنطقة، فدوام الحال من المحال كما يقولون، اما السلام العادل، فهو يتطلب احتراما متبادلا، واعترافا متبادلا، وعلى قدم المساواة، وهذا ما يرفض الاسرائيليون اعتماده اساسا لحل النزاع الفلسطيني الاسرائيلي.

فالحكومة الاسرائيلية، تتطلع الى ما هو ابعد من ذلك، علاقات اسرائيلية - عربية، وخصوصا مع السعودية ودول الخليج، وايضا علاقات سوفييتية - اسرائيلية، ويبدو ان موسكو ستعيد علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل خلال الاسابيع القليلة القادمة للحصول على رضا الولايات المتحدة، فتوصي بها خيرا، وبذلك تكون اسرائيل، قد حصلت على الثمن الذي تريده، دون ان تعطي شيئا حتى الآن، وهي ترفض التخلي عن اي جزء من الاراضي المحتلة مقابل التوقيع على معاهدة سلام، وذلك ما يؤكد رئيس واعضاء الحكومة الاسرائيلية، في كل مناسبة.

أسف واعتذار

نقدم اسفنا واعتذارنا الى الدكتور اسعد عبد الرحمن لعدم تمكننا من نشر مقالته التي تتحدث عن الانتفاضة، وذلك لاسباب عديدة.

Digitized by Birzeit University Library

القضية الفلسطينية الى اين...؟!

عدنان الكاشف

مقدمة:

كنت افكر في الواقع ان يكون الخلاف الاسرائيلي - العربي اول اهتمامات الامير، وان يكون قد أُعد ملفا كاملا حول الموضوع. لكن الامير لسوء الحظ كان يرغب في معرفة نيّة الحكومة الجديدة حول الخليج العربي، بعد مغادرة البريطانيين المتوقعة لعام ١٩٧١. وكيف تتصرف اميركا مثلا في حال مهاجمة العراق للكويت؟ القى عليّ نيكسون نظرة حائرة كان يحتفظ بها لمعاونيه عندما كان يرى ان عدم كفاءتهم، توقعه في مأزق صعب، فأجاب دون ارتباك: يجب التفكير بالقضية، التي نعيرها اكبر اهتمامنا ولا نزال محافظين على مبدأ سلامة جميع دول المنطقة من الانتقاص، وعملنا يتعلق بنتيجة الظروف، فأبدى الامير سروره من هذا الجواب الغامض.

هنري كيسنجر*

هذا ما كتبه وزير الخارجية الاميركي الاسبق هنري كيسنجر في مذكراته، وهي واقعة حدثت في السابع عشر من كانون الاول عام ١٩٦٨، عندما زار امير الكويت في حينه الولايات المتحدة والتقى الرئيس الاميركي ريتشارد نيكسون الذي تولى مهام منصبه في ذلك الوقت كرئيس جديد للولايات المتحدة الاميركية.

ومكذا، وبعد حوالي اثنين وعشرين

* مذكرات كيسنجر في البيت الابيض ١٩٦٨ - ١٩٧٣، مذكرات في اربعة اجزاء، طلاس للدراسات والنشر، دمشق الطبعة الثانية/ايار ١٩٨٥، الجزء الاول ص ٨٨ - ٨٩.

Digitized by Birzeit University Library

عاما ترجمت الولايات المتحدة ما قاله نيكسون، وظهر جليا ان الاهتمام الاميركي الكبير بالخليج يفوق كل التصورات، حيث جاءت نتيجة الظروف على الصعيد الدولي مواتيه تماما للعمل الاميركي الشنيع والعدواني، واصبح الجواب الغامض للرئيس نيكسون في ذلك الوقت، واضحا وضوح الشمس ليس فقط لاسلاف الامير وزملائه من مشايخ النفط، بل وللعالم اجمع.

واليوم وعلى ضوء الحرب التي شهدتها منطقة الخليج العربي، لم تكتف الولايات المتحدة بتدمير قدرات العراق الاقتصادية والعسكرية فحسب، ولا بتحرير الكويت كما ادعت سابقا، بل راحت وبكل وضوح وصراحة تتخطط لخلق واقع جديد في المنطقة يخدم مصالحها وفرض وجودها لفترة زمنية طويلة، وطويلة جدا.

الوضع الجديد

بعد ان توقف مدير الطائرات الحربية واصوات المدافع والصواريخ في ١٩٩١/٢/٢٨، بدأت الولايات المتحدة المرحلة الثانية، واستفادت من جميع مميزات المرحلة الاولى، وتحاول تسخيرها لخدمة اهدافها اللاحقة، وتركز اهتمامها اكثر فاكثر على الدول العربية التي وقفت خلفها في الحرب ضد العراق، وسخّرت كل الشعارات التي رفعها العراق قبل اندلاع الحرب مثل توزيع الثروة، ومساعدة الاغنياء للفقراء...الخ في خدمة سياستها، وهكذا تم انشاء تحالف عربي من ثماني دول هي مصر وسوريا (الفقيرتان) ودول الخليج الست (الغنية). واذا كانت هذه الدول تملك المقومات المادية (المالية) والقوة العسكرية فانها ستظل غير كافية بالنسبة للولايات المتحدة، ولهذا لجأت اميركا الى مغازلة ايران وباكستان وتفاهمت مع الدول الاخرى مثل تركيا واسرائيل، حتى تخلق نظاما امنيا قويا، يكون السند الحقيقي لها في تحقيق اهدافها ليس فقط للسيطرة على مقدرات الدول العربية بالذات فقط، وانما لاعطائها الدافع القوي للتحكم بالسوق العالمية وخاصة منظمة الاوبك، وما يتبع ذلك من مواجهة اوروبا واليابان اقتصاديا في السنوات القادمة. وهكذا لن تدخر الولايات المتحدة جهدا، مهما كانت سبله، في تحقيق غاياتها بخلق نظام امني جديد في المنطقة يوفر لها كل مقومات الوجود على هذه المنطقة الغنية والحساسة من حيث الاهمية في العالم.

الربط بين ازمة الخليج والقضية الفلسطينية

ومنذ ان نشبت ازمة الخليج في آب ١٩٩٠/ جرى الحديث عن الربط بينها وبين القضية الفلسطينية، وكانت بعض الدول قد ايدت ذلك وشجعت البحث عن حلول سلمية، واصبح الارتباط بين الازمة في الخليج والقضية الفلسطينية يزداد اكثر فاكثر بعد ان اخذ مجلس الامن يصدر القرار تلو الاخر ضد العراق، ومعارضة اميركا لقرارات في المجلس نفسه تتعلق بالقضية الفلسطينية، واخذ الاحساس يتزايد لدى شعوب ودول عديدة بان الولايات المتحدة تتعامل مع القرارات والشرعية الدولية بشكل انتقائي ومزدوج. وامام هذا الواقع حاولت الولايات المتحدة ان ترفض ذلك، واعلنت انه حال انتهاء ازمة الخليج فانها ستتفرغ لحل باقي مشاكل المنطقة، واخذت تخاطب كل دولة في العالم، وخاصة في العالم العربي حسب موقفها من الازمة والحرب. فخلال الحرب اعلن مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري ان الرئيس بوش وعد حافظ الاسد بعقد مؤتمر دولي بعد انتهاء الازمة. ولكن الرئيس الجزائري، صرح خلال الحرب ايضا بان الرئيس الاميركي رفض عقد اتفاق سري معه بعقد المؤتمر الدولي بعد سنة ولو كان الموقف الجزائري مماثلا للموقف السوري لربما سمع الرئيس الجزائري نفس الوعد للرئيس الاسد.

واذا كانت هذه الازدواجية في المواقف الاميركية تنطلق من دوافع تكتيكية، فان الازدواجية من الشرعية الدولية وقرارات الامم المتحدة، قد اوقع الولايات المتحدة نفسها في مأزق كبير. وفي سبيل الخروج من هذا المأزق رمت بكل ثقلها من اجل انجاح تحركها السياسي الجاري اليوم في المنطقة.

التحرك السياسي الاميركي

بعد ثلاثة ايام من انتهاء المعارك في الخليج اعلن وزير الخارجية الاميركي جيمس بيكر في برنامج "واجه الصحافة" لشبكة التلفزيون الاميركية N.B.C (١٩٩١/٣/٣): "علينا ايجاد وسيلة لجعل الدول العربية واسرائيل تتوصل الى السلام. كما يجب ايضا ان نجد وسيلة لجعل الفلسطينيين والاسرائيليين يبدأون حوارا بينهم... نريد ان نرى ماذا حدث بعد التطورات المهمة جدا في المنطقة والتي حركت حجارة الشطرنج بعض الشيء وسنرى الى اي درجة تحققت المرونة لدى الجانبين". (١) وبعد مرور حوالي اسبوعين على هذا التصريح جاء بيكر الى المنطقة في جولة مكوكية لا احد يعرف متى تنتهي، في مهمة تحقيق "السلام" الذي يسعى اليه وكما يتضح من الجولات التي قام بها والتصريحات والاخبار والتعليقات السياسية لدى مختلف الاطراف، فان الولايات المتحدة تسعى الى حل، وان كان ظاهريا يعتمد على قرار مجلس الامن ٢٤٢ بالتفسير

Digitized by Birzeit University Library

المختلفة له، فانها قطعيا لا تريد مؤتمرا - دوليا ام اقليميا - يستند الى قرارات الامم المتحدة والشرعية الدولية جميعها، والتي هي وحدها الكفيلة باخراج المنطقة من الدوّامة وتُوصلها الى شاطىء الامان.

لقد كتب هنري كيسنجر في مجلة "نيوزويك" الاميركية في كانون الثاني الماضي مقالة، يقترح فيها عقد مؤتمر برعاية الامين العام للامم المتحدة تشارك فيه اسرائيل والولايات المتحدة وحلفاؤها العرب في حرب الخليج. واوضح ان هذا المؤتمر ليس مؤتمرا دوليا، لانه سيجعل اميركا واسرائيل معزولتين وذكر "ان سلوك فرنسا قبل حرب الخليج ليس سوى عينة صغيرة عما يمكن ان يحصل". (٢)

لقد كان كيسنجر صادقا في افتراض هذا من حيث العزلة التي يمكن ان يخلقها المؤتمر الدولي، ولهذا فان المسعى الاميركي الدؤوب هو كيفية الهروب من هذه العزلة والالتفاف على دائرة الشرعية الدولية، وهي لهذا لم تعمل فقط مع الجانب العربي من اجل ذلك، بل ذهبت الى دول العالم العظمى بالامر مثل دول اوروبا والاتحاد السوفييتي، وهي تحاول ان تقدم بعض المغريات لها في سبيل ذلك، وكلما يصطدم التحرك السياسي الاميركي ببعض العقبات تبحث الولايات المتحدة عن مساعدين، ومساعدين فقط، للتغلب على هذه المصاعب والعقبات، ولعل زيارة بيكر الاخيرة لموسكو جاءت بعد اجتماع مطول عقده في دمشق مع الرئيس السوري حافظ الاسد استمر حوالي ١٠ ساعات، ظهرت خلاله عدم تطابق وجهات النظر تماما، وعليه برزت بعض العقبات والمعيقات.

ان الادارة الاميركية تدرك جيدا انه في حال فشلها في تحركها السياسي الان، يعني بالملموس عجزها عن حل مشكلة بالغة التعقيد التي تتطلب جهدا دوليا، وهذا ربما يحرمها من الاستفراد بحل قضايا اخرى شائكة في العالم، او التي يمكن ان تظهر لاحقا. واذا كانت الحرب ضد العراق قد سهلت عليها تحريك حجارة الشطرنج التي تحدث عنها بيكر، فان قتل الملك (ملك الشطرنج - اسرائيل) الذي يجند كل جنوده وقلاعه لحمايته، شاهرا سيفه على كل من يقف في طريقه حتى ولو كان المجتمع الدولي كله، فهل يعقل ان يظل الملك ملكا والى متى؟!

الموقف الاسرائيلي

اتسم الموقف الاسرائيلي الرسمي منذ ان بدأ بيكر مهمته "السلمية" قبل اكثر من عام، بالرفض التام لكل المقترحات التي قُدمت في حينه سواء نقاط مبارك العشرة او خطة بيكر، واقترحت بديلا لذلك ما عُرف بخطة شامير او مبادرة الحكومة الاسرائيلية (ايار ١٩٨٩)، وهي خطة كان المقصود منها ممارسة واطالة امد اللعبة فقط.

وحاولت الحكومة الاسرائيلية ان تُفصّل هذه الخطة على مقاسها هي، دون اي اعتبار آخر، وكان واضحا ان شامير نفسه لم يكن جادا حتى في تنفيذ خطته، من خلال فرضه لشروط تعرف اسرائيل نفسها انها لن تتوفر لها مطلقا، واول هذه الشروط هو ايجاد ممثلين عن الفلسطينيين يوافقون على الخطة بكل بنودها دون استثناء ويعارضون م.ت.ف، حتى يمكن لاسرائيل اجراء مفاوضات معهم. وامام هذا الاصرار من الجانب الاسرائيلي اعلن بيكر في حينه ولو ظاهريا عن غضبه وعن فشله في جهوده "السلمية".

وما ان بدأت ازمة الخليج حتى وجدت اسرائيل نفسها في وضع يمكن ان يجنبها العديد من المشاكل ورأت ان الفرصة قد حانت لها لاعادة صورتها كما كانت امام العالم قبل بدأ الانتفاضة، واخذت تصعد من نشاطاتها وسياستها من اجل ابعاد الانظار عما يحدث في الاراضي المحتلة وتوجيهها الى ما يجري في الخليج.

وما ان بدأت الحرب في الخليج وتعرضت اسرائيل للقصف الصاروخي العراقي، حتى راح مسؤولون اسرائيليون عديدون يجوبون العالم، ويستدرون عطفه امام الموقف الاسرائيلي الذي التزم بعدم الرد على القصف الصاروخي. وكانت اسرائيل تدرك جيدا ان التزامها بسياسة ضبط النفس وعدم الرد، يمكن ان يتيح لها ويخلق المبررات لسياستها الرافضة للشرعية الدولية وانها تعيش في منطقة لا يمكن ان يسود فيها الامان والاستقرار الا اذا بقيت اسرائيل قوية ومتمسكة بالاراضي الفلسطينية المحتلة. وتستغل اسرائيل سياسة ضبط النفس اثناء الحرب في فرض شروطها على العالم اجمع، فعدا عن رفضها لقرارات الامم المتحدة، فانها تحاول ان ترسم التحركات السياسية سواء الاميركية او غيرها كما تريدها هي، واصبحت هي التي تحدد اليوم من الذي يمكن ان يشارك في هذا الحدث او ذاك، فهي ترفض حتى المؤتمر الاقليمي وفق التصورات الاميركية، وتفرض نفسها على اوروبا والاتحاد السوفييتي والامم المتحدة، وهذا التعامي الاسرائيلي ناتج عن عدم وجود الضغط اللازم عليها. ومهما اكثرت وسائل الاعلام الاميركية والغربية من ان هناك ضغوطا كبيرة على اسرائيل، فقد اعلن العديد من المسؤولين الاسرائيليين وفي مقدمتهم رئيس الوزراء اسحاق شامير عن رفضهم لاي ضغط كان ومن اية جهة كانت. ولكن هذا التصلب والرفض الاسرائيليين لا يجب النظر اليهما بان لا حول ولا قوة للعرب، وخاصة الفلسطينيين، الا بالاستماع لما تريده اسرائيل منهم. وهذا التعنت الاسرائيلي يضيف سلاحا قويا لنا نحن

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطينيين، ويزيد من عزلة اسرائيل امام العالم.

ان مستقبل المنطقة لا يحدده الموقف الاسرائيلي او الاميركي او اي طرف لوحده، ما لم يتم الالتزام الكامل ليس فقط بقرارات الامم المتحدة، وانما في اقامة علاقات من نوع خاص بين شعوب المنطقة، بحيث يستطيع كل شعب ان يعبر عن مصالحه، ومراعاته لمصالح الاخرين. فقط بهذه الطريقة يمكن ضمان الامن والاستقرار في المنطقة، ومهما حاول المسؤولون الاسرائيليون تصوير الامر على غير ذلك، فأنهم سيدورون في حلقة مفرغة. ولعل شمعون بيرس رئيس حزب العمل وبالرغم من تنكره لحقوق شعبنا الفلسطيني ورفضه للتفاوض مع م.ت.ف، وهو لا يختلف كثيرا عن مواقف الليكود، الا انه اصاب كبد الحقيقة عندما كتب "والامر الذي سيحدد مستقبل السلام في المنطقة هو تنمية نسيج جديد من العلاقات بين الشعوب التي تعيش ضمن الحدود السياسية، لا عن طريق نشر القوات على هذه الحدود" (٣). ان نسج العلاقات الجديدة بين الشعب الفلسطيني والشعب الاسرائيلي لن تتم من خلال فرض شروط اسرائيل على الشعب الفلسطيني، ولن تتم من خلال السياسات القديمة - الجديدة للحكومة الاسرائيلية تجاه مواطني الاراضي المحتلة، ومهما قيل عن سياسة بناء الثقة التي تحاول اسرائيل ان تبشر بها، فان واقع الحياة على الارض يختلف تماما عن وسائل الاعلام. واذا كانت حالة الطوارىء التي شهدتها عدة دول في المنطقة اثناء حرب الخليج، ومن ضمنها اسرائيل، الا ان حالة الطوارىء هذه لا تزال مستمرة في الاراضي الفلسطينية المحتلة، ليس فقط في مجال تنقل المواطنين بين المدن الفلسطينية نفسها، وانما في حرمانهم من مصادر الرزق والعمل، والاكثر من ذلك دأبت الحكومة الاسرائيلية مع التحرك السياسي الجاري في المنطقة برعاية الولايات المتحدة ان تقوم بعملية استيطانية واسعة، تستهدف الطابع الديمغرافي للارض الفلسطينية وخلق امر واقع يصعب التعامل معه في حالة التوصل الى اي حل سياسي، حتى ولو كان على الطريقة الاميركية. ويعلق بنحاس عنبري في جريدة "عل همشمار" فيقول: "وتهدف عملية السلام الى فصل الدول العربية القوية عن المشكلة الفلسطينية، من اجل اطلاق العنان ليد اسرائيل في وضع عملية ضم المناطق المحتلة وعملية استيطان حثيثة - عملية كهذه حيوية بالذات لحظة وجود عملية سياسية وتشكل جزءا لا يتجزأ منها، فبدون يده حرة في المناطق المحتلة لن ينضم شامير لاي مؤتمر اقليمي - وهو لا يخفي ذلك" (٤). وما دام الحديث يدور عن الاستيطان، فالضرورة تستوجب التذكير بما قاله بيكر لوفد الشخصيات الفلسطينية الذي التقاه في المرة الثانية، ويقول الدكتور حيدر عبد الشافي في سؤال وُجه الى بيكر "افلا ترى ضرورة في ان تحاول الضغط على اسرائيل من اجل وقف عمليات الاستيطان؟! فأجاب بيكر: "الكونغرس لن يوافق". انها دولة ديمقراطية كما ترى" (٥). ولكن بيكر أمام وسائل الاعلام يدلي بتصريح مخالف لما قاله في الجلسات المغلقة، فتعقيبا على بناء مستوطنة جديدة اثناء وجوده في سوريا قال: "اعتقد ان هذا يثبت ان عرقلة السلام اسهل من تشجيعه وان انشاء المستوطنات لا يساعد اطلاقا جهود المهتمين بالسلام بيننا".

اذا كان هذا هو الموقف الاميركي امام العرب، فكيف سيكون حاله في اسرائيل، فاذا لم يتم تشجيع عملية الاستيطان من قبل اميركا، فعلى الاقل لم يأخذ من جدول الاعمال الوقت الكبير، كما صرح بذلك شامير لاحقا.

الموقف العربي والتناقضات المحتملة.

اذا كانت الحرب بنتائجها قد اوجدت واقعا جديدا في المنطقة، فليس معنى ذلك ان الاطراف، وخاصة الدول العربية، التي وقفت الى جانب الولايات المتحدة ضد العراق يمكن ان يكون لها نفس الموقف من عملية "السلام" المقترحة حسب افكار ومشاريع الادارة الاميركية. وهذه المواقف المختلفة يمكن ان تبرز وتصبح اكثر وضوحا في حال نجاح الولايات المتحدة باولى خطواتها نحو تحقيق افكارها، وبالتأكيد سوف تبرز تناقضات بين جميع اطراف العملية السلمية والمشرفين عليها، لان كل طرف يحاول ان يثبت وجوده ودوره الخاص به، وان كان الجميع يقر بالدور الاميركي الطليعي في هذه العملية.

والدول العربية الثمانية التي شكلت الحلف او المحور الجديد في العالم العربي لا يمكن ان يكون لها نفس الموقف من الدائر حاليا. فمصر على سبيل المثال متساوقة تماما مع المخطط الاميركي، وكل زيارة يأتي بها بيكر الى القاهرة ويعرض افكارا جديدة، يعرب المسؤولون المصريون عن موافقتهم عليها مباشرة ليس هذا فحسب، بل وتلعب الديبلوماسية المصرية دورا ضاغطا على بقية الدول المشاركة في هذا المحور وخاصة على سوريا.

فالمؤتمر الاقليمي حسب رؤية الاطراف له، مختلفة ويوجد بينها بعض التناقضات، فاسرائيل مثلا تريده مؤتمر يستبعد الامم المتحدة واوروبا وتشجع شركا لمشاركة الاتحاد السوفييتي به، وهو اعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، ودون ان يعتمد على القرارين ٢٤٢، ٣٣٨. ان اسرائيل

Digitized by Birzeit University Library

يمكن ان تغير موقفها هذا في بعض الجوانب التي تراها ثانوية وغير مؤثرة في مجريات المؤتمر نفسه. ومصر والسعودية وفي احسن التقديرات تريدان نتيجة المؤتمر ان تتمشى مع القرارين المذكورين لمجلس الامن. ويمكن تفسير احجام السعودية عن المشاركة في المؤتمر، رغم تأكيد الاميركان والاسرائيليين لدورها، بأنها لا تريد ان تكون ضمن اللعبة على المكشوف، وبهذا تكمل جريمتها التي اقدمت عليها اثناء الازمة والحرب. وبالنسبة لسوريا فانها تسعى لمؤتمر يكون الدور الاساسي فيه للامم المتحدة ويعتمد على القرارين ٢٤٢، ٣٣٨، وتشارك به اوروبا واميركا والاتحاد السوفييتي. ويمكن لجولات بيكر المكوكية في المنطقة ان تُليِّن الموقف السوري، ولكن مهما اتخذ الموقف السوري صفة المرونة والليونة، فان الاذلال الذي سوف يتعرض له، ربما يُحجم القيادة السورية عن الانخراط في هذا المؤتمر، خاصة ان التصريحات الاسرائيلية لا زالت ترى في سوريا مصدر خطر وعدم استقرار في المنطقة. اما بالنسبة للفلسطينيين فان غيابهم حتى وفق الخطة الاميركية ذي المسارين، فسيعقد المشكلة اكثر فاكثر، ولهذا ادرك بيكر مسبقا هذه المشكلة عندما سُئل بخصوص تشكيل الوفد الفلسطيني اجاب قائلا: "عندما يحين الوقت لتشكيل الوفد الفلسطيني سنحرص على تذليل العقبات التي ظهرت في الماضي ولن نقع في نفس المشاكل" (٦). اما بالنسبة للاردن فان وضعه خاص ومميز، فهو لا يمكن ان يعود الى الماضي بالنسبة للقضية الفلسطينية باعتباره وصيا عليها الا في حالتين فقط الاولى تفويض رسمي من م.ت.ف للمشاركة في الوفد المشترك والعودة الى اتفاق عمان ١٩٨٥، والحالة الثانية التوقف عن الحياة الديمقراطية والبرلمانية فيه، وهذا امر مستبعد نتيجة تنامي دور الحركة الشعبية في هذا البلد. وعليه فان تعميق الحياة الديمقراطية واحترام كافة اطراف الحركة الوطنية والدينية الاردنية لبعضها البعض والتنسيق فيما بينها لمواجهة التحديات كفيلان ليس فقط بمحافظة الاردن على موقفه الحالي، وانما يتعدى ذلك الى افشال المخطط الاميركي الذي يريد فرض الاستسلام على العرب. وهذا يتطلب من الطرفين الرسميين الاردني والفلسطيني تنسيق المواقف المشتركة فيما بينهما والسعي نحو توحيد الموقف العربي وخاصة سوريا لبناء موقف موحد قائم على القبول بالحل السلمي المستند الى الشرعية الدولية وقرارات الامم المتحدة.

ان الدول العربية التي وقفت مع اميركا اثناء الحرب والتي اعلنت مرارا انه بعد انتهاء ازمة الخليج، يجب التوجه لحل باقي مشاكل المنطقة، يجب ان تظل قلقة تجاه هذه المسألة، وهذا سوف يضعها في موقف حرج اكثر فاكثر، وهكذا فكلما تساوقت واقتربت من الحلول الاميركية وابتعدت عن الشرعية الدولية، كلما ازداد الضغط عليها ومطالبة شعوبها لها بحل القضية القومية العربية - قضية فلسطين.

لقد بدأت الخلافات والتناقضات تظهر في وسائل الاعلام العربية واخذت الصحف السورية والمصرية تُحمِّل فشل التحرك السياسي الجاري الآن الى كل من اسرائيل والولايات المتحدة. ولعل ما كتبه احمد سلامة كاتب العمود البارز في صحيفة الاهرام المصرية ما يشير الى ذلك حين كتب يقول: "ومنذ ان بدأت اميركا تتحرك في الشرق الاوسط بعيدا عن التقيد بالامم المتحدة ومجلس الامن معتمدة على الديبلوماسية الاميركية وحدها لم يتطرق الشك لدى الكثيرين بان بيكر يسلك نفس الطريق الذي سلكه المرة السابقة عام ١٩٩٠ وسوف ينتهي الى نفس النتيجة وها هي مباحثاته في اسرائيل تؤكد ذلك" (٧).

ان احدى المهام الاساسية في حالة العودة الى وحدة الصف العربي، يجب ان تكون واضحة وقاطعة، وهي الاعتراف بكافة قرارات الامم المتحدة، وعليه فان الدول العربية عليها ان تفشل وتوقف رأي الاسرائيليين القائل بان الدول العربية ليست على استعداد لتقبل وجود دولة اسرائيل، وهي بكل بساطة تنتظر الى ان تختفي اسرائيل او يتمكن العرب من ازالتها. ان هذا السلاح الذي تمتلكه اسرائيل على مدار ٤٣ عاما من وجودها يجب اسقاطه من يدها، لانه حقيقة غير واقعية. ولعل ما كتبه كيسنجر في مذكراته والتي اشرنا اليه في بداية هذه المقالة، ما يشير الى ذلك.

م.ت.ف والموقف المطلوب

لقد كنا من بين الاوائل الذين حذروا من حسم ازمة الخليج عسكريا وما يحمله ذلك من مخاطر جمة على القضية الفلسطينية، واشرنا في حينه ان جبهة الاعداء بعد ازمة الخليج سوف تكون م.ت.ف والشعب الفلسطيني عموما. وها هي الاحداث تؤكد صواب رؤيتنا هذه. والتصريحات المتعاقبة للمسؤولين الاميركيين تكشف عن ذلك وبيكر يعلن بعد ثلاثة ايام من انتهاء الحرب ان "ياسر عرفات و م.ت.ف لن يكونا شريكين في مسرح المفاوضات". ويأتي التآمر على م.ت.ف والقضية الفلسطينية من الجانب العربي ايضا. والكل يهدف الى خلق بديل لـ م.ت.ف فالسعودية تضغط على الجالية الفلسطينية عندها وخاصة رجال الاعمال الفلسطينيين للتساوق مع سياستها. والكويت تمارس شتى انواع القتل والتعذيب ضد الفلسطينيين الذين بقوا في الكويت.

Digitized by Birzeit University Library

والسفارة المصرية في تل ابيب بالاضافة الى وزارة الخارجية الاسرائيلية تستخدم بعض الشخصيات داخل اسرائيل من اجل الضغط على بعض الشخصيات في الضفة والقطاع للحاق بالقطار الاميركي. وفي لبنان يجري العمل على تجريد الفلسطينيين من سلاحهم بحجة تنفيذ اتفاق الطائف وتجريد كافة المليشيات في لبنان من السلاح.

ان حجم الهجوم الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني وقيادته م.ت.ف يستدعي الوقوف بجدية امامه، وهذا يتطلب قبل كل شيء، الكف عن كافة التصريحات والممارسات التي تتناقض وقرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الاخيرة، وصورة الموقف الفلسطيني التي جرى تشويهها اكثر من اللازم، لا يمكن تنقيتها واعادة الصفاء لها من خلال الفرقعات السياسية وجس النبض من خلال تصريحات ابو شريف او غيره من المسؤولين الفلسطينيين.

لقد مر الشعب الفلسطيني في تاريخه النضالي الطويل بمنعطفات حادة جدا، وامام كل منعطف كانت تظهر التباينات والاجتهادات والاختلافات في وجهات النظر، ولكن التجربة المريرة في هذه المنعطفات من الواجب ان تكون قد اعطت الكثير من الدروس والعبر لكافة الفصائل الفلسطينية، وحجم التآمر الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني اليوم يفوق كل ما تعرض له سابقا. من هنا فان اعادة النظر في كل ما حصل في المنطقة من وجهة نظر المصلحة العليا الفلسطينية، تتطلب الابتعاد كليا عن اي شكل من اشكال الفئوية الضيقة، واحتكار كل طرف للحقيقة والادعاء بانه يمتلكها وحده. ان وضع اليد على القلوب لدى المواطنين الفلسطينيين عند كل اجتماع لهيئات م.ت.ف يمكن له ان يتوقف فقط في حالة واحدة وهي تمسك جميع الفصائل الفلسطينية باهداف مرحلة التحرر الوطني المتمثلة في العودة وحق تقرير المصير وبناء الدولة المستقلة، وعدم اتباع التكتيك الخاطىء الذي يوصل حتما الى نتيجة خاطئة.

ان الموقف الفلسطيني اليوم في اعتقادي يجب ان يرتكز الى ثلاثة محاور رئيسية وهي:

الارض المحتلة

لقد اصبحت الارض الفلسطينية وباعتراف الجميع انها الساحة الرئيسية للنضال الوطني الفلسطيني والاجراءات الاسرائيلية اليوم تؤكد على ذلك، وعليه فان موقف م.ت.ف من هذه الساحة يجب ان يكون له الاولوية في اهتمامات المنظمة. لقد سبق لعرفات وبعد اشهر قليلة على اندلاع الانتفاضة ان وصف جماهير الارض المحتلة "بانها القلعة والقوة الضاربة التي تهب لنجدة م.ت.ف في لحظات الخطر، وبأنها تقود قيادتها". ان تجربة الثلاث سنوات ونصف اثبتت ما قاله عرفات، واليوم فان قيادة م.ت.ف هي اكثر ما تكون بحاجة الى تدعيم هذه الساحة واقامة اوثق الروابط والتفاعل الحي بين الداخل والخارج.

ان الاوضاع التي تعيشها المناطق المحتلة اليوم والاجراءات الاسرائيلية المتبعة ضد المواطنين الفلسطينيين يستدعي من القيادة الفلسطينية العمل على تثبيت هذه الساحة، وشد لحمتها، وتوفير كافة مقومات الصمود، والحفاظ عليها من اي تفسخ او انقسام، ولعل اهمية الارض المحتلة بالنسبة لـ م.ت.ف يوازي اهمية المنظمة بالنسبة لسائر الشعب الفلسطيني. وستظل قوة المنظمة نابعة من مدى تماسك هذه الساحة.

الاصلاح الديمقراطي

دأبت كافة الفصائل الفلسطينية عند كل اجتماع للمجلس الوطني الفلسطيني او المجلس المركزي ان تقدم ورقة عمل خاصة بها لعرضها على المجلس ومناقشتها والخروج بشكل جماعي لضمان العمل الفلسطيني الموحد. ان تصور كل طرف لضرورة الاصلاح الديمقراطي، يعني وجود خلل ما في تركيبة اجهزة م.ت.ف وهذا الخلل ربما يكون ان الاجهزة القائمة حاليا لا تقوم بالدور المنوط بها، عدا عن عدم وجود الرجل المناسب في المكان المناسب. وتزداد المطالبة بالاصلاح الديمقراطي مع كل منعطف جديد تمر به القضية الفلسطينية. ان مفهوم الاصلاح الديمقراطي يجب ان ينبع من حرص الجميع على م.ت.ف باعتبارها كيان وضمير الشعب الفلسطيني وهويته السياسية والوطنية، واي اصلاح يخرج عن ذلك لم يعد اصلاحا، ولكن هذا الفهم بالمقابل يجب ان يلاقي التجاوب من قيادة م.ت.ف الحالية للاسراع به وتوسيعه، والتوسيع لا يعني مشاركة جميع الفصائل في كافة اجهزة م.ت.ف، بقدر ما يلتزم الجميع بمنهج الحياة الديمقراطية في التعامل فيما بينها من جهة وبينها وبين الجماهير الفلسطينية العريضة في المواقع المختلفة من جهة اخرى.

ان عملية الاصلاح الديمقراطي تحتاج الكثير من الشرح والتفصيل وربما تكون موضوعا منفصلا. ولكن العملية نفسها اصبحت ضرورية وملحة. وهذا ما اكده عضو اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف سليمان النجاب في حديثه لمجلة صوت الوطن، حيث قال: "ان عملية اجراء الاصلاحات الضرورية صارت جزءا اساسيا من عملية الدفاع عن المنظمة واحباط تجاوزها" (٨).

Digitized by Birzeit University Library

مبادرة السلام الفلسطينية

لقد جاءت مبادرة السلام الفلسطينية المقرة في دورة المجلس الوطني الفلسطيني الاخيرة، تاكيدا وانسجاما تاما من الجانب الفلسطيني مع الشرعية الدولية وقرارات الامم المتحدة. وهي لهذا كسبت كل التأييد من دول العالم المختلفة. والمحافظة على التمسك بها والاصرار عليها امام كافة الضغوطات التي تتعرض لها م.ت.ف هي الجواب والبلسم الشافي لكل محاولات الالتفاف على م.ت.ف. لقد خلقت المبادرة وضعا جديدا منسجما مع الاوضاع الداخلية الفلسطينية من جهة ومتجاوبة مع اهداف الانتفاضة نفسها، ويبقى العمل على تطوير هذه المبادرة بما ينسجم مع الواقع الجديد الذي حصل بعد حرب الخليج، ضرورة عملية من اجل اشغال كافة مشاريع الولايات المتحدة. وفي هذا الاطار فان لقاءات الشخصيات الفلسطينية مع بيكر في كل جولة ياتي بها الى المنطقة، يجب ان يعاد النظر فيها. واذا كان هناك تخوف من اي طرف في الجانب الفلسطيني بان الاحداث الجارية يمكن ان تتجاوز م.ت.ف ليس له ما يبرره، واذا كانت مقاطعة اوروبا للقاء قادة فلسطينيين، فان هذا لن يدوم طويلا، فلقد اوضح السفير جوين موروجان مبعوث المجموعة الاوروبية الى اسرائيل والذي تراس بلاده المجموعة "اننا في الوقت الحالي لا نتصور وضعا يمكن ان نرغب فيه التحدث الى عرفات... ولكن هذا لا يعني اننا لسنا مستعدين للتحدث الى الفلسطينيين على الاطلاق" (٩). وقد جاء لقاء عرفات مع وزير الخارجية الفرنسي في ليبيا ليزيل هذا التخوف ويؤكد على ان لا بديل لمنظمة التحرير.

ان وجود م.ت.ف في الامم المتحدة بصفة مراقب يتناقض مع محاولات تشكيل الوفد الفلسطيني لاي مفاوضات من خارجها، ولم يحدث في التاريخ على الاطلاق ان حدد احد الاطراف ممثلا عن الطرف الاخر الذي يلتقيه، والتمسك بحقنا هذا ورقة اخرى في يد القيادة الفلسطينية يجب عدم التنازل عنها تحت اي ظرف كان.

خلاصة

تمتلك القيادة الفلسطينية اليوم ثلاثة اوراق في اي تحرك سياسي وهي الانتفاضة ومبادرة السلام الفلسطينية والشرعية الدولية. واي تهاون في احدها او جعلها عرضة للتآكل من شأنه المس بكل مسيرة الشعب الفلسطيني. وهذا يتطلب المضي قدما في التمسك بها والمحافظة عليها فاعلة ومتجددة.

ان كل مقومات الصمود الفلسطيني والحل الدائم للقضية العادلة متوفرة الان في يد م.ت.ف، بالرغم من كافة الصور المظلمة التي تحاول الاطراف الاخرى رسمها للشعب الفلسطيني. ان اصرار م.ت.ف بالتعاون مع الدول العربية والتوجه مجتمعين الى الامم المتحدة ومجلس الامن الدولي على وجه الخصوص سيسرع بالحل المطلوب، والفرصة السانحة لايجاد الحل التي يتحدث عنها اعداء الشعب الفلسطيني، هي ايضا متوفرة وكانت موجودة منذ سنوات عديدة من الجانب الفلسطيني على قاعدة الشرعية الدولية وكافة قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية.

اذن الصورة تختلف عما يظن الاخرون، واذا ما استمر الجانب الفلسطيني بالتمسك بالثوابت الفلسطينية يكون قد دفع بالقضية باتجاه الحل العادل والدائم في المنطقة ويؤمن الاستقرار لها.

الهوامش

١- جريدة القدس ١٩٩١/٣/٤.
٢- الاتحاد ١٩٩١/١/٢٤.
٣- جيروزاليم بوست ١٩٩١/٤/١٤.
٤- القدس ١٩٩١/٤/٩.
٥- الاتحاد ١٩٩١/٤/١٢.
٦- الطليعة ١٩٩١/٤/٢١.
٧- النهار ١٩٩١/٤/٢٣.
٨- الطليعة ١٩٩١/٤/١٩.
٩- النهار ١٩٩١/٣/٢٢.

١٩٩١/٤/٢٧

«الكاتب»
للدراسات والابحاث

تتوجه ادارة مجلة «الكاتب» الى الزملاء الكتاب والباحثين والاكاديميين في وطننا، وفي الخارج، بتزويدنا بابحاثهم ودراساتهم، حيث اننا بصدد اصدار ملحق مجلة الكاتب، للبحوث والدراسات، بشكل فصلي ومحكم. آملين في تعاونكم، لاصدار الملحق المذكور في الوقت المحدد، وبالشكل والمضمون اللائقين بمجلة «الكاتب» وبالزملاء الكتاب.

هيئة التحرير

Digitized by Birzeit University Library

وداعا، ايتها الحرب

اميل حبيبي*

انقضت ازمة الخليج على رؤوس المثقفين العرب العلمانيين وهم في خضم جهد ثقافي «غير مريح» للبحث عن طريق جديد نحو القرن الجديد - الحادي والعشرين. ومهما تكن نتائج هذه الحرب فقد طبعت احداثها المذهلة، في وعي المثقفين العرب على انها محاولة قاسية لوأد عملية التفكير الدمقراطي الجديد في شرقنا، وهي في مهدها، وللحفاظ على النظام القديم.

ولكن نجاح هذه المحاولة هو قضية اخرى. فان «صندوق بندورا»،** الذي فتحته هذه الحرب، قد مر ويمر - مرور الكابوس - على الشعوب والانظمة المعنية حتى لا يجرؤ السياسيون على الاستمرار في التعامل مع الحرب على انها «وسيلة من وسائل استمرار السياسة». واقترح على كل المشاركين في تخطيط وجهة شرقنا، بعد الحرب، ان يتنبهوا الى حدود هذا التخطيط الاساسية وهي ان هذه الحرب هي الحرب الاخيرة.

*****

لا تتوفر لدي احصاءات عن قوة امل الثقافة في اطار المجتمعات العربية الحديثة. ولكن من المعروف ان «ثورة ثقافية» عبرت وتعبر على المجتمع في جميع الاقطار العربية بغير استثناء. وترك التفكير الماركسي خاتمة على تفكير المثقفين العرب العلمانيين وعلى مدى تأثيرهم على مجتمعاتهم مع ان القسم الاكبر منهم تلقى علومه في معاهد غربية او بتأثير معاهد غربية.

واما فشل «التجربة الاشتراكية» في اوروبا الشرقية فما كان من شأنه - ومن شأن تداعياته الفكرية والتنظيمية - الا ان اخرجنا من «كهف افلاطون» الى شمس الواقع العيني الطالعة من ظلام «الحتمية التاريخية». فظهر من بيننا نفر ادرك ان لا مناص له من الاعتماد على عيني ذاته. كما ظهر من بيننا نفر انتابه شعور اشبه بشعور العصفور الذي وجد نفسه، على الرغم من ارادته، خارج القفص الذي كان ولد وعاش فيه حتى العبادة! واصبحت مأساة هذا النفر مصيبة شخصية حين حاول العودة الى القفص فلم يجده لانه لم يعد موجودا. واصبحت هذه المأساة مصيبة عامة حين عجز هذا النفر عن التخلص من مفاهيم الماضي - مفاهيم الحرب الباردة - فعجز، بالتالي، عن التأثير على المجتمع في هذا

* ترجمة المقال الذي قدمه المؤلف لكتاب يصدر في هذه الايام عن دار «سطريات هبوعليم» في اسرائيل عن تصورات عدد من الساسة والمفكرين (ومنهم شمعون بيرس وبيني بيغن ويائير صبان وشلومو الفينيري ومئير بعيل واوري الفيري) عن الشرق الاوسط ما بعد حرب الخليج. (١٤-٣) - ١٩٩١

** "بندورا" - في الميثولوجيا الاغريقية" - امراة جميلة جدا شارك آلهة الاولمب جميعا في خلقها. واهداها ربوس (جوبتر) صندوقا حبس فيه كل ما في المجتمع من سوءات. فاذا فتحت هذا الصندوق انطلقت هذه السوءات لتعيث الفساد في اوساط الانسانية.

Digitized by Birzeit University Library

الاتجاه.

لقد قيض لنا ان نعبر بقية الطريق، الى القرن الجديد، دون ان نهتدي بما تعودنا عليه من معالم الطريق القديمة. فقد وجدناها اما مهدمة واما زائلة.

وقعت علينا ازمة الخليج وقوع الصاعقة فيما كنا منهمكين، فكريا، بالبحث عن اسباب انهيار وتوقف «حركة التنوير» العربية التي ولدت في مصر في نهاية القرن الماضي (الـ ١٩). ولم يكن عرضا ان جرى تخصيص «معرض الكتاب» في القاهرة، في نهاية العام ١٩٨٩، للاحتفال بمرور مئة عام على هذه الحركة. وعقدت، في اطاره، ندوات عن الموضوع اشترك فيها عدد من كبار المفكرين والمثقفين العرب المبدعين. وشرع في حوار، من على صفحات الصحف، عن اتجاهات العالم ما بعد الحرب الباردة - ما بعد الانتهاء من انقسام العالم الى معسكرين متصارعين واختفاء النظام العالمي الذي كان قائما على ضابط «توازن الرعب» بين المعسكرين. وبدء، في القاهرة، بالتحضير لمؤتمر عالمي لاهل الثقافة الابداعية والمفكرين من القارات الخمس للبحث في وجهه الحضارة على عتبة القرن الجديد.

لم يكن عرضا ان توارثت المعرفة الانسانية ذلك القول الاغريقي العتيق عن انه «حين تقع الحرب تصمت الهة الخيال» - «الموزا». ويوجد، في تراثنا العريق، قول مشابه: «تكلم السيف فاسكت ايها القلم»! الا ان «الموزا» صمتت، هذه المرة، لانها اصيبت بصدمة فجائية. «الهة الفكر» سكتت، هذه المرة، لانها اخذت على حين غرة ولم تكن مستعدة ولم تكن موحدة. لقد اتحد «الفكر التقليدي»، بما فيه «الفكر التقليدي - الثوري»، مع فكر اوساط ذات نفوذ - في الغرب وفي الشرق - اندفعت نحو الحرب، او دفعت نحوها دفعا، من منطلق رغبتها في المحافظة على النظام القديم. فلم يكتفوا باستغلال ما تجمع في ترساناتهم من ادوات الحرب، طول مرحلة الحرب الباردة، بل استغلوا كل ما تراكم في الرؤوس من «افكار تقليدية» كانوا غذوها بانفسهم لفائدة الحرب الباردة. فلا يمكن الا ان يصاب الانسان بالدهشة من تصرف نظام ملكي موال للغرب «كلاسيكيا» من مثل ذلك القائم في الاردن، حين يجده واقفا، في هذه الحرب، على رأس «المعادين للامبريالية» و «ضد الكفار» و «ضد الملوك والمشايخ». ووجدنا ان كل مركبات « الحلف ضد صدام» بما فيها اسرائيل، تغفر لهذا النظام «زلاته الثورية» وتعلن، باعلى صوت واحد، انها معنية ببقائه حيث ان «لا بديل له»!.

لم تكن هذه الحرب هي المرة الاولى، في هذا القرن، التي شن فيها العرب حربا على التسلط الغربي وعلى الرجود الغربي الكولونيالي في ديارهم. ولكن ولا مرة كانت هذه الحروب، بما فيها الحروب مع اسرائيل، حربا «ضد الكفار» كما عرضت هذه الحرب على جماهير شعوبنا بالرغم عن انها الحرب الاولى، في هذا القرن، التي حارب العرب فيها العرب و «المؤمنون» «المؤمنين»! منذ الفرعون اخناتون لم تظهر حكمة الانسانية في الاهتداء الى وحدانية الخالق، بمثل هذا السطوع الذي ظهرت فيه ابان هذه الحرب: فالخالق الواحد هو المنتصر مهما تكن نتيجة هذه الحرب. يقينا ان اسبابا عديدة تجمعت لتؤدي الى هذا التدهور في الوعي القومي العربي. وحين انصح اشقائي العرب بالا يكتفوا باحالة المسؤولية على الاجانب، في هذا الامر، فانني انصح ابناء عمومتي اليهود بأن لا يتجاهلوا مسؤوليتهم هم في الوقت نفسه. ويظل قائما، مع ذلك، السؤال: كيف فشلت، فشلا ذريعا، انظمة اسلامية «كلاسيكية» - من مثل تلك القائمة في السعودية وفي مصر - في مواجهة هذا التدهور؟ اعتقادي هو انه غير ممكن، في زماننا، النجاح في هذه المواجهة الا بالاعتماد على اسس التفكير العلماني الذي لا وجود ولا مستقبل له الا بانتصار الدمقراطية وروح التسامح في مجتمعاتنا.

لقد تعذر علي، منذ ظهور ازمة الخليج، التقاء اصدقائي ومعارفي من بين اهل الثقافة الابداعية في البلدان العربية. ولكني اجريت مكالمات تلفونية مع افراد من زملائي المصريين والعراقيين (المقيمين في بريطانيا) ومع فلسطينيين - امريكان. فوجدت ان ايام هذه الازمة، فالحرب، قد عبرت علينا جميعا عبور الكوابيس. ادركنا ان المغامرة، التي فرضت في العراق، مصيرها الفشل المؤكد. الا ان الفشل لا يقود، الزاما، الى فشل «التفكير التقليدي» - «الاصولي» الديني و «الثوري» - وذلك لان «الفريق الاخر»، في هذه الحرب، غير معني بهذه النتيجة. اياننا والتسرع في اتهام الشعب العراقي الشجاع بالمسؤولية عن فشله، طول السنوات العشرين الماضية، في التخلص من نظام استبدادي انزل به الكارثة تلو الكارثة. فان المسؤول الحقيقي عن هذا الفشل هو «الجبرة» القريبة والبعيدة - فقد كانت، ولاتزال، معنية باستمرار هذا النظام. وهل الامريكان معنيون، حقا، باختفاء هذا النظام ام معنيون باختفاء الرجل الذي يقف على راسه، فقط لا غير؟!.

سوف يحاول الامريكيون، الذين يقودون "الحلف ضد صدام حسين"، وسوف تحاول بقية اطراف هذا التحالف - العرب والغربيين - المحافظة على النظام القائم عبر ايجاد حلول لنزاعات محلية افقدها انتهاء الحرب الباردة "حق الوجود". غير ان محاولاتهم اقامة الاستقرار في المنطقة لن تتعدى الارتباط (الليلنكيج) بالانظمة المهزوزة القائمة ولن تتعدى الاعتماد على هذه الانظمة. فان الايدي، التي فتحت "صندوق بندورا"، عاجزة عن اغلاقه. ولا

Digitized by Birzeit University Library

عن (الاهالي) ١٩٩٠/١٢/١٢

ارى من حلول مستقرة، بعد هذه الحرب وما ارتبط بها، سوى عبر تصعيد النضال من اجل تحقيق تطورات دمقراطية في شرقنا - لرفع الدمقراطية، هدفا واسلوبا لتحقيق الاهداف العادلة، الى راس سلم الافضليات في كفاحات قوى التقدم في المنطقة.

ويتعاظم دور المثقفين العرب العلمانيين على اثر الامتحان المرعب الذي اجتازته في هذه الحرب والذي من الممكن اعتباره قعر هاوية الالام في طريق الالام الطويل الذي سلكته وتسلكه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ومنذ ان حققت الاقطار العربية استقلالها السياسي. لقد وقفنا، في هذه الحرب، وجها لوجه، امام خطر "لبننة" شرقنا والعودة الى "غيبيات" لم يعرف التاريخ العربي اشد غيبية منها ولا حتى في زمن حكم "الباب العالي"!

لقد كنت انتظرت من اهل الثقافة العلمانية اليهود في اسرائيل مشاركة اكثر فعالية ولو ببؤسنا المشترك والمصيري هنا. غير ان "الفكر التقليدي" تغلب، لدى اوساط محترمة منها، على الرؤية الذكية لحاجات المستقبل. فقد استمرت في الوهم بانها هي التي تحتاج الى مساعدة العرب التقدميين، لا العكس، وبان الذين يجب ان يثبتوا حسن النية تجاه اسرائيل هم العرب الفلسطينيون لا العكس. ورأى من نتائج هذه الحرب، ومما ارتبط بها، ازدياد التفاهم الذي سيقود الى تعاون مثمر بين اهل الثقافة المتقدمين - العرب واليهود.

*****

تتفق جميع الدوائر المعنية بان القضية الاساس، التي لم يعد من الممكن استمرار التباطؤ في حلها بعد الحرب، هي قضية النزاع الاسرائيلي - العربي وفي مركزه القضية الفلسطينية.

ويتضح الان ان كل مسألة "الربط" - "الينكيج" - بين قضية الكويت والقضية الفلسطينية لم تؤد الا الى صرف الانظار نحو متاهات عقيمة وانها لم تكن سوى شرك اريد ايقاع الشعب العربي الفلسطيني وقضيته العادلة فيه. فان اعداء القضية الفلسطينية العادلة لم يبقوا من هذا "الربط" سوى ما رغبوا فيه من ربط بين مصير نظام صدام حسين وبين مصير القضية الفلسطينية العادلة. ولم يعد خافيا وجود دوائر في اسرائيل توقعت هذه الحرب قبل ظهور ازمة الخليج واعتمدت على توقعاتها هذه لكي تبرر رفضها لبرنامج النقاط الاربع التي عرضها وزير الخارجية بيكر. لقد استدعي وزير الخارجية الاسرائيلية، ارنس، الى واشنطن قبل ثلاثة ايام من ظهور ازمة الخليج. واجرى مباحثات سرية مع زملائه الامريكيين. ونجد الراي العام الامريكي الان، يلح بالسؤال: الم يكن في استطاعة حكومة الولايات المتحدة ان تمنع المغامرة العراقية في الكويت قبل وقوعها؟ فلماذا لا يكون من حق الراي العام الاسرائيلي ان يسأل: الم يكن العلم المسبق بنشوب هذه الحرب هو الذي جرأ حكومة الليكود على رفض "مشروع بيكر"؟ وعن اي شيء تحدث رئيس حزب "العمل"، بيرس، وتحدث غيره من نواب حزبه حين حذروا الجمهور من مغبة كوارث قد تقع بسبب رفض "مشروع بيكر"؟!

لقد اصيب ابناء جيلي الفلسطيني بالذهول حين تبينوا السهولة التي وقعت فيها اوساط فلسطينية واسعة في الشراك

Digitized by Birzeit University Library

الذي نصب لها. فقد كان الشعب الفلسطيني قد تعلم، عبر اقسى تجربة، انه ليس للشعب الفلسطيني سوى الشعب الفلسطيني - تماما مثلما ليس للشعب السوري والشعب المصري والشعب العراقي غير الشعب السوري والشعب المصري والشعب العراقي. وبقدر ما توجد خصوصية لموقع الشعب الفلسطيني، في منظور الانظمة العربية القائمة، فهي انه "كبش الفدا" في النزاعات الداخلية فيما بينها او في تعاملها مع دول الغرب. فان هذا الشعب الفلسطيني هو نفسه وهؤلاء الشبان الفلسطينيون هم انفسهم الذين حققوا، بثمن تجربتهم المريرة، اهم انجاز حققه النضال الفلسطيني طويل الامد والمشبع بالالام - الانتفاضة، طريقا (لا عنفا) وهدفا (السلام مع اسرائيل)، ومن حيث انه نجح، عبرهاء في استعادة مقاليد اموره الى ايديه لاول مرة منذ العام ١٩٣٦.

لقد تجمعت اسباب جوهرية ادت الى هذه السهولة في الوقوع في الشرك المنصوب. وعلة راس هذه الاسباب السياسية الرسمية الاسرائيلية التقليدية. فهي المسؤولة الاولى عن ايقاع الراي العام الفلسطيني في شرك "الربط" - "الينكيج". لقد دخل الى القاموس السياسي الفلسطيني، منذ زمان، تعبير "الفرج العربي" الذي كان ينزل على المسؤولين الاسرائيليين كلما وجدوا انفسهم في مشكلة عزلة او فضيحة سياسية - منذ "تبرع" الانظمة العربية، في العام ١٩٤٧ - ١٩٤٨، بالاعلان عن رفضها "مشروع التقسيم"، الذي اقرته الجمعية العمومية للامم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، حتى عملية الشاطىء" الانتحارية عشية الازمة. وحتى هذا اليوم ليست واضحة ملابسات محاولة الاغتداء على حياة السفير الاسرائيلي في لندن عشية الاعلان عن الغزوة الاسرائيلية ضد لبنان في صيف العام ١٩٨٢. لقد وجدنا انفسنا نتساءل بالحاح، منذ ان تعاظم الاعتراض في البلاد وفي خارجها على سياسة "اللاءات" الاسرائيلية التقليدية: من اين سينزل "الفرج العربي" على اسرائيل، هذه المرة، وكيف؟ وكان الحاح هذا السؤال على اشده حين انفجر النقاش في اسرائيل حول "مشروع بيكر" الاخير.

ليس من الصعب على ذوي النوايا الحسنة والنظرة الذكية تفهم الوضع الحساس الذي اوقع اوساط واسعة من الشعب الفلسطيني في "شرك الكويت". فمنذ اكثر من ثلاث سنوات والشعب الفلسطيني يتوجه - عبر الانتفاضة - الى اسرائيل وقادتها وشعبها ان يوافقوا على الانتقال من دائرة العنف الى دائرة الحوار ومن دائرة الاحتلال الى دائرة الاعتراف المتبادل والتعايش. ولكن، ما من مجيب سوى المزيد من العنف والقتل والطرد والاعتقالات وهدم البيوت او اطفاءها. فهل من الصعب ان يتفهم المرء مشاعر الارتياح التي تملكت الشعب الفلسطيني حين شاهد أطي غرفه مضطرين الى اطم غرفهم هم انفسهم، وهادمي بيوته واقفين امام بيوتهم المهدومة، ومشرديه من مدنه وقراه هاربين من مدنهم هم انفسهم! كان من المنتظر ان يكون اكثر تفهما لهذه المشاعر شعب ورث، مع ميراثه الانساني الرائع، القول: "العين بالعين والسن بالسن" واسرع الى ملاءمته مع الاوقات الجديدة - "صاروخ بصاروخ"!

لقد نجحت حكومة الليكود في تحقيق ما توخته من وراء سياساتها المنغلقة امام كل تحرك فلسطيني نحو التسوية السلمية مع دولة اسرائيل. وحين كان انصار السلام الاسرائيليون مشغولين باستنكار تصريحات وتصرفات قومية متطرفة ظهرت في اوساط حركة التحرر الفلسطينية - اقوال وتصرفات يعتمد عليها المتطرفون الاسرائيليون لتبرير ولتاجيج تطرفهم - انشغلت حكومة الليكود في تشجيع التطرف الفلسطيني، الديني والمدني، مباشرة او غير مباشرة. وانتظرت ان يقود هذا الطريق الى تبعثر الانتفاضة والى تراجع م.ت.ف عن خط السلام "البراجماتي" الذي قررته بقيادة ياسر عرفات وبالاعتماد على الشرعية الدولية. وكان ان وقفت ضد خط السلام هذا، منذ لحظة اقراره، منظمات فلسطينية اعضاء في م.ت.ف، واوساط اقلية في داخل التنظيم الفلسطيني المركزي " فتح"، بالاضافة الى حركة الاسلاميين وحركات اخرى من خارج م.ت.ف وارتبط خط السلام الجديد باسم ياسر عرفات. و"تنبأ" المعارضون بفشل هذا الخط وهذا هو ما ظهر "بفضل" موقف حكومة الليكود المتعنت. ولا يمكن تجاهل الاشارات التي تشير الى ان ياسر عرفات وقع، عشية ظهور ازمة الخليج، ضحية لضغط تنظيمات واوساط فلسطينية متطرفة وضحية لمؤامرات اسرائيلية وعربية داخلية. وما تصريح حنا سنيورة - انه "ما من مرة كان الفلسطينيون متحدون فيها كما هم متحدون في هذه المرة" - سوى تعبير عن نجاح حكومة الليكود في تحقيق مبتغاها في هذا المجال وهو فرض الاستسلام على قيادة ياسر عرفات المعتدلة امام ضغوط التنظيمات والاوساط الفلسطينية المتطرفة والمغامرة والتي لم تكف عن سياساتها وتصرفاتها الصارخة على الرغم من كل المصائب التي جرتها على القضية الفلسطينية العادلة منذ العام ١٩٤٧ وعلى راسها "النكبة الكبرى" في العام ١٩٤٨. وحين تطالب حكومة الليكود براس ياسر عرفات لا تكون جاهلة بهذا الامر بل، على العكس، تطلب راسه لعلمها باستعداد القيادة العرفاتية وقدرتها على تحقيق السلام الاسرائيلي الفلسطيني. واما قضية القيادة القومية فهي شان الشعب المعني وحده. وحين يجري الحديث عن عمليات السلام

Digitized by Birzeit University Library

فانه ما من معيار لمحاكمة قيادة قومية سوى معيار سياستها: هل هي مؤيدة او معارضة للتسوية السلمية.

ولا باس من توزيع المسؤولية مناصفة - بين الرفض الاسرائيلي التقليدي وبين التطرف الفلسطيني التقليدي. فكلا الامرين مغامر، من حيث المستقبل القريب او من حيث المستقبل البعيد. ومما جرى في هذه الحرب، ومن نتائجها، من الممكن اعتبار "المستقبلين" - القريب والبعيد - انهما اصبحا مستقبلا واحدا بل، اكثر من ذلك، انهما الحاضر!

دائما كان الموقف الفلسطيني المتطرف، في الاساس، نتيجة للتاثير العربي العام او لتاثير المفاهيم "الوحدوية العربية" المعارضة لمجرد التفكير باقامة دولة عربية فلسطينية منفردة. وكل ذلك يجري باسم الوحدة العربية او باسم الموقف القومي الضيق الافق والمتعامي عن مميزات التطور في فلسطين التي ميزت مضمون القضية القومية فيها عن بقية القضايا القومية العربية.ولو ترك الشعب العربي الفلسطيني لكي يقرر موقفه لوحده، في العام ٤٧-١٩٤٨، لكان رضي بقرار "التقسيم" ونجح في تفادي كارثة طرده من وطنه، وفقد، عبر الانتفاضة، استطاع ان يستعيد باياديه وحده حقه في تقرير مصيره - طريقه التي يستطيع السير فيها وهدفه الذي يستطيع تحقيقه: السلام الاسرائيلي - الفلسطيني.

وتتجلى امام السياسة الاسرائيلية، الان، فرصة مشابهة للفرصة التي ظهرت امامها في العام ١٩٦٧ بعد "حرب الايام الستة"، واضاعتها. ويظهر، في الوقت نفسه، فارق بين فرصة اليوم وفرصة العام ٦٧ يجعل من الصعب على مقرري السياسة الاسرائيلية الرسمية اضاعة الفرصة الحالية.

فعلى الرغم من استغلال هذه الحرب لافشال مساعي السلام الاخيرة فان الاثمان التي دفعت في هذه الحرب والاخطار، التي وضعتها هذه الحرب امام الشعوب المرتبطة بالنزاع الاسرائيلي العربي، من شأنها ان تضيق الفسحة التي اجرى عليها الاسرائيليون والاميركيون مناوراتهم التباطؤية. فليس عالم ما بعد الحرب الباردة معنيا باستمرار هذا النزاع او قادرا على الاستمرار في تحمله.

ولا حكومات الاقطار العربية المشاركة في التحالف ضد صدام حسين - وعلى راسها مصر وسوريا والسعودية - قادرة على السماح بتعليق حل القضية الفلسطينية، خصوصا قضية المناطق العربية المحتلة ومن بينها القدس الشرقية (العربية)، بعد الثمن الاخلاقي الباهظ الذي دفعته هذه الاقطار العربية باسم الدفاع عن الشرعية الدولية. لقد ضاقت ايضا، "فسحة المناورة" العربية والاميركية. ومن المنتظر ان يكونوا مستعدين، هذه المرة اكثر من اية مرة سابقة، لتحقيق سلام شامل مع اسرائيل. ولكن ليس باي ثمن. ويحسن مقررو السياسة الاسرائيلية الرسمية لانفسهم ولشعبهم بقدر ما يقرأون، قراءة صحيحة، غضب الشعوب العربية الذي لحق ان يظهر راسه فقط في اثناء هذه الحرب. لقد فقدت الغطرسة الاسرائيلية المدمرة مقوماتها المادية والاخلاقية. ولم يعد من طريق امام اسرائيل لتامين مستقبلها في الشرق العربي الا عبر استعدادها للاستعاضة عن سياسة الغطرسة بسياسة التعاون المخلص من اجل تقدم شرق مسالم ودمقراطي وضمان الوفرة لشعوبه.

من غير الممكن تاجيل تجريد شرقنا من السلاح غير التقليدي - تجريده من الصواريخ بعيدة المدى ومن رؤوسها الكيماوية والبكتريولوجية والذرية - ولا لسنة واحدة! واذ تعلن اسرائيل انه من حقها المطالبة بتطبيع العلاقات مع العالم العربي، قبل تحقيق نزع السلاح غير التقليدي، فان هذا الاعلان نفسه يلزمها بحل القضية الفلسطينية علما بانه دون حلها لن يتحقق السلام الاسرائيلي العربي الثابت.

يقينا ان قائمة الشعوب، ضحايا هذه الحرب، هي قائمة طويلة وتضم العديد من الشعوب في الشرق وفي الغرب ومن ضمنها اسرائيل وشعبها. ولكن، ما من شعب انتكبَ في هذه الحرب اكثر مما انتكب الشعب العراقي والشعب الفلسطيني. ويحسن مقررو السياسة الاسرائيلية القومية لمستقبل اسرائيل نفسها بمدى ما يتعاملون مع الشعب الفلسطيني من منطلق انه شريك رئيس في نكبات هذه الحرب.

وتقترح في اسرائيل مختلف "البدائل" لتحقيق السلام المنشود. ومما لا شك فيه ان المحاولات ستجرى في عدة اتجاهات واجدني مصرا على اعتقادي بانه لن ينجح في نهاية الامر، سوى "البديل الاسرائيلي - الفلسطيني" - اي اقامة دولة فلسطينية الى جانب دولة اسرائيل في حدود العام ١٩٦٧ وابقاء مدينة القدس موحدة: عاصمة للدولتين. وامران، في اعتقادي، يجب ان تتحاشى اسرائيل واحزابها تاجيل البت فيهما: ١- الغاء الحكم العسكري على المناطق المحتلة وتحرير المعتقلين السياسيين الفلسطينيين من الحبوس وانهاء سياسة القوة تجاه الشعب العربي الفلسطيني. و ٢- اعلان اسرائيلي رسمي عن الاستعداد للتخلي عن المناطق المحتلة منذ العام ١٩٦٧ في ظل السلام وترتيبات امنية دولية.

واسرائيل، بامتناعها عن التدخل في حرب الخليج، تدخلا عسكريا مباشرا، كسبت مستقبلها واثبتت، في الوقت نفسه، القدرة الاميركية على منعها من القيام باعمال مغامرة. ولما كان من حق

Digitized by Birzeit University Library

الامريكيين ان يعلنوا عن انهم لا يحملون معهم ترتيبات سلام، مقررة سلفا، فانه لمن واجب اسرائيل ان توائم تصرفاتها لا مع اوضاع الشرق الاوسط بعد حرب الخليج فقط بل مع عالم ما بعد الحرب الباردة.

*****

توجد اوساط، في بلادنا وفي العالم كله، تعتقد ان انهيار نظام الحرب الباردة العالمي - الذي كان قائما على "ميزان الرعب" بين المعسكرين - يقود الى فراغ تملؤه "الدولة الكبرى الوحيدة": الولايات المتحدة الامريكية. وفي نهاية السنة الماضية (١٩٩٠) قامت ١٧ صحيفة، من كبريات الصحف الاوروبية، باصدار ملحق مشترك عن وضع العالم ما بعد الحرب الباردة. واختاروا له العنوان المشترك والموحد: "عدم النظام العالمي الجديد"!

واما الحقيقة فهي ان "عدم النظام" قام، بشكل او باخر، في عالم الحرب الباردة. واحد الاسباب، التي قادت صدام حسين الى تصرفه المغامر، هو تقديره الخاطىء بان "عدم النظام" هذا لا يزال قائما. واما استمرار الاحتلال الاسرائيلي والنزاع الاسرائيلي الفلسطيني، على الرغم من القرارات العديدة التي اصدرتها الامم المتحدة، سوى برهان على "عدم النظام" الذي كان قائما وجرى تحمله في مرحلة الحرب الباردة. ومن غير المستبعد ان يكون التدخل الامريكي في ازمة الخليج قد اتجه نحو الرغبة في السيطرة على النظام العالمي الجديد.

غير ان القفز من عالم الحرب الباردة الى عالم ما بعد الحرب الباردة لا يمكن ان يكون قفزا في الهواء نحو الفراغ. فهذه القفزة انما جاءت لمنع التِدهور نحو هاوية حرب عالمية ذرية كان من الممكن وقوعها بحكم المنطق الداخلي ل "ميزان الرعب". ويتطور الاصرار على اتخاذ القرارات المسؤولة باجماع الدول الخمس الكبرى الى "قانون" لا يمكن التخلي عنه. ولم يعد الحديث عن ضرورة الالتزام بالشرعية الدولية مجرد كلام فارغ من المحتوى بل اصبح ضرورة حيوية لاستمرار الحياة على وجه كوكبنا الارضي. وعلى الرغم من ان العالم لا يزال منقسما، وسيبقى منقسما، بحدود سياسية وجغرافية وسكانية، الا ان التقارب بين الشعوب، العلمي والاعلامي، قد تحول الى ثورة عالمية من المستحيل الارتداد عنها الى وراء. ولن تقبل شعوب "العالم الثالث" باستمرار نظام عالمي يهملها وينهب خيراتها. ولا شعوب الغرب المتطور، بما فيه الولايات المتحدة الامريكية، ترضى باستمرار نظام عالمي هدر حياتها في الحروب ولوث ارضها ومائها وسماءها.

ولا نكران ان "المعسكر الاشتراكي العالمي" قد اسهم في تحقيق الاستقلال السياسي لبلدان "العالم الثالث". ولكنه في الوقت نفسه، غرق في سباق تسلح وايديولوجي مدمر اثقل على بلاده هو نفسه وعلى بلدان "العالم الثالث" حتى تشويه تطورها الطبيعي. ولا يخفف كلامي هذا من مسؤولية الدول الرأسمالية الكبرى عن ويلات الاستعمار والحروب الاستعمارية. غير ان الواقع الجديد الاساسي، الذي لا بد من رؤيته واعتماده، فهو اختفاء "المعسكر الاشتراكي العالمي"، ان خيرا وان شرا وان شئنا وان ابينا. فهذه هي الحقيقة العالمية القاعدية الجديدة التي سوف تقرر تصرف الدول جميعها، بما فيها حكوماتها وكل احزابها وطبقاتها، في العالم كله وليس في شرقي اوروبا وفي "العالم الثالث" فقط بل في الولايات المتحدة وفي بلدان الغرب كله.

لقد قيض للمنطقة التي شهدت مولد الحضارة - بلاد ما بين النهرين - ان تشهد النزع الاخير للعالم القديم، عالم الحرب الباردة. ولا اورد هذا الكلام تعزية لنا جميعا. انما احاول ان اقرر حقيقة مرئية وهي ان حرب الخليج، بفضل "صندوق بندورا" الذي فتحته، هي الحرب الاخيرة. فان لم يكن هذا الامر ان تستطيع الحضارة البشرية الاستمرار في الوجود.

ومن هذا المنطلق، وهو المنطلق الاساس، ادعو الى عدم ابقاء مهمة تخطيط النظام الجديد في شرقنا او تخطيط النظام العالمي الجديد، في ايدي السياسيين والعسكريين والحكام الاستبداديين ولا حتى الحكام الدمقراطيين وحدهم. فقد اصبح دور المفكرين، المتحررين من قيود الاراء المسبقة، اشد تاثيرا الان مما كان عليه في اية مرحلة سابقة من مراحل "ما بعد الحرب" لان هذه الحرب هي الحرب الاخيرة.

وبما ان الحرب لن تقع مرة اخرى فما من مبرر تستطيع الهة التفكير (الموزا) ان تتذرع به للاستمرار في صمتها. واما "مؤونة" الحرب الباردة، المكدسة في المخازن وفي ادمغة الناس، فلا مناص من ان يعلوها الصدأ حتى لا يبقى لها من مكان او من سوق. وما قولي هذا بالحلم "الرومنطيقي" بل تعبيرا عن واقع جديد لا رجعة منه.

وما السيء بالاحلام "الرومنطيقية"؟ انما السيء، في زمننا هذا، هو الحنين "النوسطالجي" الى ايام الحرب الباردة التي مضت الى غير رجعة.

(حيفا في ١٩٩١/٣/١)

Digitized by Birzeit University Library

خطر الاستيطان ومقايضة الارض بالسلام

اعداد: منير سلام

منذ ان بدأت الهجرة اليهودية الواسعة والكبيرة من الاتحاد السوفييتي واثيوبيا ودول اخرى الى اسرائيل، اخذت الحكومة الاسرائيلية على عاتقها تنفيذ كل المشاريع التي تمكنها من استيعاب الاعداد الهائلة "للقادمين الجدد"، وهي لم تتوان باتخاذ اية خطوة من شأنها ان تساعد على مجيء المزيد من اليهود اليها، وعكفت وزارة الاسكان الاسرائيلية على اعداد مخططات ووثائق هيكلية لبناء المزيد من المدن والقرى اليهودية سواء داخل اسرائيل نفسها او في الاراضي المحتلة، وتحت هذه الذريعة اعلن في حينه، اسحاق شامير رئيس الحكومة الاسرائيلية ان هذه الهجرة تؤكد حاجة اسرائيل لان تكون كبيرة وقوية. ويقصد شامير بذلك عدم تخلي اسرائيل عن الاراضي الفلسطينية المحتلة، وهكذا بدأت الحكومة الاسرائيلية بهجمة استيطانية واسعة في الاراضي المحتلة، ليس فقط من اجل استيعاب اليهود الجدد، وانما لخلق واقع ديمغرافي جديد في المنطقة، يحول دون التوصل الى حل سلمي للقضية الفلسطينية.

ومع كل تحرك سياسي لايجاد الحل السلمي، كانت اسرائيل تسبق ذلك بعمليات استيطانية واسعة، وهذا ما حصل ابان المفاوضات في كامب ديفيد، وكذلك ما جرى في السنوات الثلاث الاخيرة، عندما بدأت الانتفاضة تدق ناقوس الحل السياسي العادل القائم على الشرعية الدولية وقرارات الامم المتحدة. واليوم ومع التحركات السياسية الاميركية والافكار المطروحة، تعود اسرائيل الى سياستها السابقة، وهي زرع العديد من المستوطنات الجديدة وتوسيع القائم منها بالاضافة الى اقتلاع الاف الاشجار في مناطق عديدة من الضفة والقطاع.

ومنذ ان تولى اريك شارون وزارة البناء والاسكان الاسرائيلية، اخذت هذه السياسة تمد اخطبوطها الى كل الاراضي المحتلة، ودأبت وزارة الاسكان الاسرائيلية منذ ستة اشهر على اصدار تقارير دورية اسبوعية يطلق عليها اسم "ادارة المباني للهجرة"، يتضح من خلالها هدف الحكومة الاسرائيلية المتمثل في زيادة عدد المستوطنين البالغ عددهم حاليا ١٠٠ الف الى ٢٠٠ الف مع نهاية العام ١٩٩٣، وتخصيص ميزانية هائلة جدا لتنفيذ هذه الخطط، تصل مع نهاية العام المذكور الى ٢ مليار شيكل، ليس هذا فحسب، بل واطلق العنان للمستوطنين انفسهم لبناء مستوطنات جديدة وتوسيع القائم منها كما حصل في مستوطنة "ريفافا" قرب قرية كفل حارس في نابلس.

واذا كانت بعض مشاريع البناء داخل اسرائيل نفسها يعترضها بعض الاشكاليات البيروقراطية، فقد اكد دادي تسوكر (راتس) وحاييم اورون (ميام) بعد ان وقع بين ايديهما تقرير وزارة الاسكان بانه "يتضح انه في المناطق المحتلة لا يوجد حديث وبيروقراطية، اذ يتم تنفيذ جميع القرارات على الفور، بل وبسرعة تفوق كافة ما خطط له" (معاريف ٤/٩). وعندما اثارت هذه التقارير ردود فعل مختلفة لدى بعض الاوساط في اسرائيل، استبدلت التفاصيل التي تحتويها التقارير والتي تشير الى اسماء المستوطنات في الضفة، الى تفاصيل عن المستوطنات في المناطق بعنوان "مواقع اخرى".

لقد اكد عاموس روبين المستشار الاقتصادي لرئيس الحكومة الاسرائيلية انه في العام ٩٠ - ٩١ تم التخطيط لبناء ١٠٠٠ - ١٢٠٠ وحدة سكنية، ووثائق وزارة الاسكان تشير الى زيادة البيوت المقطورة والكرفانات وبيوت ثابتة، الا ان التقارير والوثائق الاسرائيلية تشير الى زيادة البناء بـ ١٢ الف وحدة سكنية خلال ثلاث سنوات، تتسع لمئة مستوطن جديد في الضفة والقطاع. ففي مستوطنة اريئيل لوحدها كشفت (يديعوت احرونوت ٤/١٠) عن وثيقة اشارت فيها الى ان ١٠٠٠ وحدة

Digitized by Birzeit University Library

سكنية جديدة يتم بناؤها في هذه المستوطنة. كما كشفت وثيقة اخرى عن موضوع توطين مستوطنة "تسوفيم" في الشفة ويحمل عنوان "تعديل خطة" ٢٠٠٠ وحدة سكنية وفي ختامها كتبت الملاحظة التالية: "توجد خطة (١٢٠٠) وحدة سكنية من تاريخ ١٩٨٧/١٢/١٠ وفي اعقاب اضافة اراض وزيادة الهجرة، هناك حاجة لتعديل الخطة لتصل الى ٢٠٠٠ وحدة سكنية، التعديل تم في اعقاب الحاجة الملحة للبناء من اجل استيعاب الهجرة". ("يديعوت احرونوت" ١٩٩١/٤/١٠).

ان الاستيطان لم يتوقف على الاراضي الفلسطينية المحتلة، بل اخذ يتسع ايضا ليشمل هضبة الجولان السورية، وقد اعلن رئيس المجلس الاقليمي في هضبة الجولان "يهودا فولفمان" ان "هضبة الجولان لم تشهد ابدا زمنا في عمليات البناء العام والخاص بهذه الدرجة الكبيرة من الكثافة القائمة اليوم في المنطقة" (دافار ٤/١١)، وكشف النقاب عن ان مستوطنة "كتسرين" يجري فيها بناء حوالي ٥٠٠ وحدة سكنية للمهاجرين الجدد. واضاف قائلا ان شارون نفسه طلب تخصيص ميزانية لبناء ١٥٠٠ وحدة سكنية.

امام هذا الواقع، ما جدوى الحديث عن السلام والافكار والمشاريع المطروحة من اجله؟! ان استمرار الاستيطان بهذا الشكل سوف يقضي على الارض نفسها التي يتحدثون عنها بشأن مقايضتها بالسلام، وكل الضجة الاعلامية الاميركية المفتعلة حول الاستيطان وعرقلته لعملية السلام، ما هي الا زوبعة فقد اكد شامير معقبا على ذلك للاذاعة الاسرائيلية (٤/١٣) بان "هناك تفاؤلا كبيرا بين المكانة المخصصة في وسائل الاعلام لمسألة الاستيطان اليهودي وبين مكانتها مع وزير الخارجية الاميركي جيمس بيكر" (جريدة القدس ٤/١٣). فهل سمع العرب عن ذلك؟!!.

مستوطنة زفاية . اقيمت على اراض اقرت الدوائر المختصة بملكية اهالي خارس ودير استيا لها

البناء في المناطق المحتلة: اين وكم؟

* "كريات اربع"
- حوالي ٥ الاف مستوطن.
- حوالي ٣٠٠ وحدة سكنية خلال عام ونصف.
- حوالي ١٥٠ عائلة.

* "معاليه ادوميم"
- حوالي ١٤ الف مستوطن.
- حوالي الف وحدة سكنية في مراحل بناء مختلفة وسيتم البدء في الصيف ببناء الفي وحدة سكنية.
- حوالي مئتي عائلة.

* "افرات"
- حوالي ثلاثة الاف مستوطن.
- ٥٠٠ وحدة سكنية في مراحل تشطيب وحوالي ٢٠٠ وحدة سكنية في مراحل البناء الاولى كما يوجد مخطط لاقامة الف وحدة سكنية.
- حوالي ٣٠ شخصا.

* "معاليه افرايم"
- حوالي ١٦٠٠ مستوطن.
- ٤٦ وحدة سكنية في مراحل بناء مختلفة.
- افراد.

* "ارئيل"
- حوالي عشرة الاف مستوطن.
- ٦٥٠ حدة سكنية في مراحل بناء مختلفة.
- حوالي ١٢٠٠ مستوطن.

* "الفنا"
- اكثر من ثلاثة آلاف مستوطن.
- ١٥٠ وحدة سكنية في مراحل بناء مختلفة.
- ٣٠ عائلة من الاتحاد السوفياتي.

* "كرني شومرون"
- حوالي ٤٥٠٠ مستوطن.
- ١٣٠ وحدة سكنية في مراحل بناء مختلفة يتم التخطيط لبناء ٦٠٠ وحدة سكنية.
- ٢٧ عائلة.

* "الفي منشه"
- حوالي ٢٨٥٠ مستوطن.
- ١٥٠ وحدة سكنية في مراحل بناء مختلفة. كما سيتم بناء ٢٧٢ وحدة سكنية.
- افراد.

* "اورنيت"
- حوالي ٢٥٠٠ مستوطن.
- ١٠٠ وحدة سكنية في مراحل بناء مختلفة.

* "عمنوئيل"
- حوالي ٤ الاف مستوطن.
- ٧٠ وحدة سكنية في مراحل بناء مختلفة كما يتم التخطيط لاقامة الفي وحدة سكنية.
- ٢٧ عائلة.

ونشرت صحيفة هآرتس الجدول التالي من تقرير "ادارة مباني للمهاجرين، حيث تحدد فيه الموقع وعدد المساكن المقطورة وتاريخ بدء الاسكان في هذه المساكن وقد اعد هذا التقرير بتاريخ ٩١/٣/١:

Digitized by Birzeit University Library

اسم المستوطنة	عدد المساكن المقطورة	تاريخ بدء الاسكان
- الفي حفتس	١٠	١٩٩١/٤/١
- الون	٢٨	١٩٩١/٣/٢٠
- الون موريه	١٠	١٩٩١/٣/١٥
- الون شبوت	١٦	١٩٩١/٣/١٥
- ايلي سيناي	١٠	١٩٩١/٣/١٠
- الفرات	٥٠	١٩٩١/٤/١٥
- بيت ايل أ	٢٠	١٩٩١/٤/١
- بيت ايل ب	٣٥	١٩٩١/٤/١
- بيت آريه	٧٠	١٩٩١/٥/١
- بيت حجاي	٢٤	١٩٩١/٣/١
- بيت حورون	٢٥	١٩٩١/٣/١٠
- برخا	١٠	١٩٩١/٤/١
- برکان	١٠	١٩٩١/٤/١
- دوغيت	٢٥	١٩٩١/٣/١٥
- دولب	١٥	١٩٩١/٣/١٠
- حنيت	١٠	١٩٩١/٣/١٥

قرية ارطاس مثال للاراضي المصادرة

ويتضمن الجدول التالي اسم المستوطنة وعدد وحدات البناء الدائمة وتاريخ انتهاء تخطيط البناء:

اسم المستوطنة	عدد وحدات البناء الدائمة	تاريخ انتهاء تخطيط البناء
- برخا	٢٠	١٩٩١/٢/١٧
- غنيم	١٠	١٩٩١/٢/١٧
- حنيت	١٥	ــــــ
- هرفز	٢٠	١٩٩١/٢/٢٦
- يتسهار	٢٠	١٩٩١/٢/١٧
- كديم	٢٠	١٩٩١/٢/١٧
- مبو دوكان	٢٠	١٩٩١/٢/١٧
- مدليم	١٥	١٩٩١/٢/١٧
- عيناب	٣٠	١٩٩١/٢/١٤
- شفي شومرون	١٧	١٩٩١/٢/١٤
- شكيد	٣٠	ــــــ
- تلوح	٤٠	١٩٩١/٢/٢٦

كما في الكويت كذلك في مستوطنة (اريئيل)

افتتح المستوطنون في مستوطنة "اريئيل" في الضفة الفلسطينية المحتلة، الجمعة (٤/٢٦)، شارعا جديدا اطلق عليه اسم الرئيس الامريكي، جورج بوش!

وقال رئيس مجلس المستوطنة، رون نحمان، ان اطلاق اسم بوش على الشارع جاء لـ "رد الجميل" للرئيس الامريكي على دوره في حرب الخليج.

ودعا الرئيس بوش الى مواصلة "حماية" اسرائيل و"الدفاع عن

الشعب اليهودي".

الجدير بالذكر ان الكويت ل

اطلقت اسم بوش على عدة شوار

فيها.

Digitized by Birzeit University Library

ازمة الخليج دروس وعبر

صلاح عبد الشافي
غزة - آذار/١٩٩١

بالرغم من صمت السلاح على جبهات القتال في الخليج، والتفات المواطنين في الكويت والعراق الى تضميد جراحهم ولملمة اشلائهم المتناثرة جراء القصف الوحشي الامريكي - الاطلسي، فان الحرب الحقيقية لم تنته بعد لا بل وحتى لم تبدأ. نقصد بذلك الحرب السياسية، وهي الاهم، والتي لم تكن الحرب العسكرية، برغم ضراوتها ووحشيتها سوى تمهيدا اوليا لها. فاذا كان ضحايا الحرب العسكرية يقدرون بعشرات الالاف من القتلى وعشرات الالاف من الجرحى يضاف اليهم الدمار الاقتصادي الكبير، فان ضحايا الحرب السياسية سيقدرون بالملايين، ذلك ان شعوب المنطقة باسرها، سيصبحون ضحية نظام وهيمنة واستغلال استعماري جديد، يرسم خارطة سياسية جديدة لمنطقة الشرق الاوسط ويؤسس لاصطفاف جديد للقوى.

لن نتطرق هنا الى الاسباب المباشرة التي ادت الى بروز ازمة الخليج ومن ثم اندلاع الحرب والنتائج المدمرة التي الت اليه الحرب، لكننا سنتطرق الى ثلاث عوامل دولية واقليمية ساهمت من خلال تفاعلاتها وتاثيراتها على النظام العالمي القائم بالدفع الموضوعي من اجل اقامة ترتيبات عالمية واقليمية جديدة.

العامل الاول:

انهيار منظومة الدول الاشتراكية انهيارا شاملا وسريعا على كافة الاصعدة، الاقتصادية - السياسية والعسكرية. ان عملية الانهيار هذه بدات مع بداية الثمانينات واستمرت ما يقرب العشر سنوات وتوجت بالحل الرسمي لحلف وارسو. فقد بدأت هذه العملية بالبروز على السطح مع بداية الازمة الحادة في بولندا، حيث بدت دلائل اولية على وجود خلل ما في الية النظام الاشتراكي، سرعان ما اتضح انها ليست خلل وانما عطل شامل في الالية والبنية يشمل ليس فقط الجانب الاقتصادي - السياسي - العسكري انما ايضا الايدولوجي، حيث اتضح غياب نظرة اشتراكية شمولية قادرة على اعطاء اجوبة عملية على تحديات ومتطلبات العصر، في مواجهة التفوق الاقتصادي الراسمالي. ان ما خسره العالم وخاصة الدول النامية والشعوب المستضعفة من انهيار المنظومة الاشتراكية هو غياب قوة الردع المواجهة للامبريالية والتي كانت تكبح جماح اي تحرك عدواني حتى ولو لم يتم التدخل الفعال والمباشر في مواجهة الامبريالية. فمجرد وجود قوة عسكرية مكافئة ومتوازنة مع القوة العسكرية الاطلسية. يدعمها موقف سياسي مدافع عن مصالح ومطالب الشعوب العادلة كانت تجعل الدوائر العدوانية الامبريالية تفكر الف مرة قبل الاقدام على اي عمل عدواني مغامر. اما على الصعيد الاقتصادي وبالرغم من محدودية دور المنظومة الاشتراكية انا ما تورن بالدور الاقتصادي الراسمالي العالمي، فان انفتاح اسواق الدول الشرقية امام الغرب سيفتح مجالا جديدا للمنافسة ما بين المراكز الراسمالية الاساسية (اليابان، امريكا، اوروبا)، من اجل اكتساب حصص في الاسواق الجديدة تحضيرا لاخذ دور كبير في النظام وتقسيم العمل العالمي الجديد.

العامل الثاني:

الوحدة الاقتصادية الاوروبية عام ١٩٩٢ تمهيدا للوحدة السياسية الشاملة. ان عملية الوحدة الاوروبية تتجاوز كونها مجرد عملية جمع لجملة من الدول لتشكل وحدة جغرافية جديدة. ان هذه الوحدة تشكل تحول تاريخي نوعي في عالم اليوم، سيؤدي الى بروز قوة اقتصادية - سياسية كبيرة ومؤثرة في العالم. ان غياب العدو المشترك وزوال الخطر السوفييتي والاشتراكي، سيدفع الى احتدام المعركة الاقتصادية ما بين المراكز الامبريالية الثلاث وانا كانت معالم هذه المعركة في

Digitized by Birzeit University Library

السوق الاوروبية قد توضحت، فان المعركة من اجل اقتسام مناطق النفوذ في العالم الثالث لم تكن واضحة المعالم قبيل اندلاع حرب الخليج. من هنا فان بروز قوة نوعية جديدة في العالم ذات طاقات وقوة جذب اقتصادية هائلة، سيفرض بالتاكيد موازين قوى عالمية جديدة. وستعمد موازين القوى هذه الى حد كبير على قدرة كل طرف من المراكز الامبريالية العالمية في تثبيت اقدامه ونفوذه وتامين مصالحه في دول العالم الثالث، خاصة تلك التي يوجد لديها مصادر الطاقة والسيولة النقدية لشراء المنتجات المصنعة في الدول المتقدمة صناعيا. اي ان المعركة على دول العالم الثالث ستكتسب ابعادا كثيرة وستلعب نتائجها دورا كبيرا في تحديد صورة ومعالم النظام العالمي الجديد.

العالم الثالث:

لقد بقيت منطقة الشرق الاوسط احدى المناطق القليلة في العالم والتي تتميز بعدم الاستقرار وغياب اية بوادر لحل مشاكل هذه المنطقة. فبينما شهدت الكثير من بؤر التوتر في العالم حلولا او بوادر لحلول مثل افغانستان، انغولا، جنوب افريقيا... الخ، بقيت منطقتنا عامل عدم استقرار للدول الغربية وخاصة لامريكا. ان خصوصية منطقة الشرق الاوسط تنبع من كون ان اي تغير فيها او عدم استقرار يمكس نفسه وبقوة على الوضع الدولي ان كان سلبا او ايجابا. وهذا ينبع من سببين الاول وهو الاهمية الاقتصادية لهذه المنطقة (نفط،سوق استهلاكية كبيرة) وثانيا وجود دولة اسرائيل في هذه المنطقة، وحساسية المسالة الاسرائيلية ودور اسرائيل الاقليمي بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية. من هنا فان النظام العالمي الجديد لن يكتمل ويكتب له الاستقرار، طالما لم يتم ترتيب الاوضاع السياسية، الاقتصادية والامنية لمنطقة الشرق الاوسط.

هذه العوامل الثلاث والتي تم التطرق لها، تشكل الاطار الاعم والاشمل والذي مهد لم حصل في الخليج على مدار الستة اشهر الماضية. في هذا السياق سوف لن نعالج العوامل المباشرة والتي ادت الى نشوب الازمة ومن ثم تصاعدها وما وصلت اليه من حرب مدمرة، ستعاني المنطقة طويلا من اثارها. فشعار تحرير الكويت والذي رفعت لواءه دول التحالف بقيادة الولايات المتحدة كان كلمة حق يراد بها باطل. فقد ظهر جليا للعيان ان الهدف الاساسي كان اكبر بكثير من الكويت، وبل حتى تجاوز الاطار الاقليمي للحرب، ليشمل الاطار الدولي والترتيبات العالمية الجديدة. ما يهمنا الان وبعد ان انتهت الحرب العسكرية هو ان نستخلص الدروس والعبر ونحاول ان نحدد المهام الجديدة على ضوء موازين القوى الجديدة وذلك بعقل مفتوح بعيدا عن احباط الهزيمة وتاثير الحدث الاني.

ان العبر والدروس المستخلصة تشمل الاصعدة التالية:

اولا: على الصعيد العالمي:

* لقد دللت الحرب ومسارها على الدور الحاسم والاساسي الذي تلعبه الولايات المتحدة الامريكية ليس فقط في زعامة العالم الغربي بل في العالم ككل. فقد فرضت امريكا ارادتها على العالم اجمع واستطاعت تحرير كافة سياستها، دون ان تواجه بالحد الادنى من التعارض من اي طرف اخر. من هنا فقد اكدت امريكا زعامتها للعالم الراسمالي. فبالرغم مما قيل كثيرا عن المنافسة الاقتصادية لامريكا من قبل اليابان واوروبا الغربية، فان الحرب اكدت بما لا يدعو للشك ان القوى الاقتصادية وحدها لا تكفي اذا لم تقترن بقوة في التحرك السياسي والعسكري والتاثير على مراكز القوى في مناطق مختلفة من العالم كما هو الحال في الولايات المتحدة الامريكية.

* لقد اثبتت الحرب هشاشة ومزالة ما كان يسمى باستقلالية الدور الاوروبي. فامريكا فرضت رغبتها على اوروبا بشكل واضح. فقد راينا بعض المحاولات الاوروبية في بداية الازمة وخاصة من جانب فرنسا يلعب دور مستقل ومتميز عن الدور الامريكي وفي اتجاه اعطاء المزيد من الوقت للدبلوماسية. الا ان الدور سرعان ما اختفى تحت وطأة الضغط الامريكي.

* لقد اثبتت الحرب الدور السوفيتي المؤثر والفاعل في مواجهة الدور الامريكي. وفي كثير من الاحيان ظهر نوع من الخضوع السوفييتي للاملاءات الامريكية. ان الاسلوب الذي تعاملت وتعاطت به امريكا مع المبادرات السوفييتية وخضوع موسكو لذلك، يؤكد على ان اللمسات الاخيرة قد اكتملت في القضاء على الاتحاد السوفييتي كقوة عظمى في العالم.

* لقد دللت الاحداث على ان التعويل على دور فعال وموضوعي لهيئة الامم المتحدة خاطىء وفي غير مكانه. فالامم المتحدة والتي انشئت بعد الحرب العالمية الثانية وكهيئة دولية، همها الاساسي هو الحفاظ على السلم العالمي، قد شكلت غطاء لحرب بشعة، دون ان يتم استنفاذ كافة الوسائل السياسية والدبلوماسية في الحل. فبعد ان اندلعت الحرب. ومضى عليها عدة اسابيع واتضح للجميع ان الحلفاء قد تجاوزوا الحدود التي وضعها قرار مجلس الامن الذي اجاز استخدام القوة في اخراج العراق من الكويت، وان ما يحدث هو تدمير منظم للعراق وضرب للاهداف المدنية، بالرغم من كل ذلك لم يحرك مجلس الامن

Digitized by Birzeit University Library

ساكنا، ولم يصدر عن الامين العام اي بيان، مما يؤكد خضوع مجلس الامن ايضا للارادة الامريكية واملاءاتها.

ثانيا: على الصعيد العربي:

* لقد دللت الحرب على حالة العجز الشامل في الوطن العربي على الصعيدين بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ كله، فمتى اذا ستتحرك؟!! ان العبرة الاساسية من ذلك هو ان "الانظمة الوطنية العربية" هي وطنية فقط في العبارات والبيانات عدا عن ذلك فهي انظمة عاجزة ولا يمكن التعويل عليها في اي تحرك يهدف للدفاع عن مصالح الامة العربية وثرواتها في مواجهة المطامع الامبريالية والصهيونية في حولها، لكن كانت تجري هناك على ساحة المعركة عملية ابادة كاملة لواحد من الشعوب العربية وبالرغم من ذلك لم تتحرك الشعوب العربية لنصرته.

* دللت الاحداث على ان حركة التحرر الوطني العربية هي حركة عجز ومراوحة في المكان، وانها لا تعاني من ازمة فقط بل تعان من حالة شلل مزمنة، مما يطرح الكثير

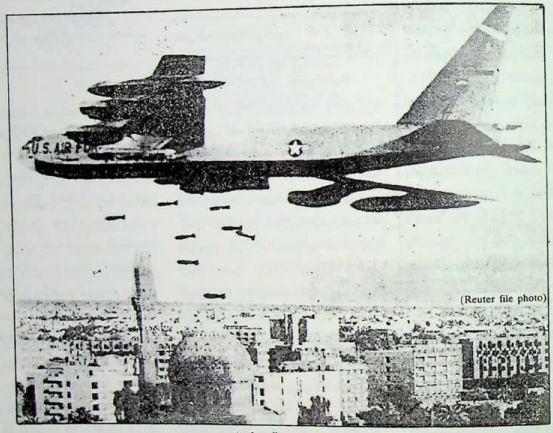

بغداد اثناء القصف الجوي

من علامات الاستفهام حول طبيعة هذه الحركة، من ناحية تركيبتها ومن ناحية برامجها. فجزء من فصائل هذه الحركة متساوق ومنسجم مع الانظمة الحاكمة، وتجد صعوبة بالتفريق ما بين موقف النظام وموقف تلك الفصائل، والجزء الاخر والذي اما يعمل في المعارضة العلنية او السرية فنراه عاجزا عن تحريك الشارع والتاثير عليه، وجزءا اخر وجدناه في خندق

المنطقة اما فيما يتعلق بالصعيد الشعبي العربي، فحقيقة ان اربعون يوما من القصف الجنوني للعراق لم تحرك الا مظاهرة هنا واخرى هناك ومهرجان هنا واخر هناك، هذه الحقيقة تدل على مدى الاحباط والانحدار الذي وصلنا ووصلت اليه شعوبنا العربية. فبغض النظر عن طبيعة النظام في العراق وعن شخصية صدام حسين نفسها والاختلاف في الاراء الذي ممكن ان يتفاقم

الرسمي والشعبي. فالانظمة العربية التي عارضت الحرب، لم تتجاوز معارضتها البيان والتصريح السياسي. اما دائرة فعلها العملية كانت محدودة لا بل حتى مشلولة، فالحد الادنى من الدعم للعراق كان يجب ان يتمثل بقرارات مقاطعة لجميع الدول التي شاركت بالحرب، سياسيا، اقتصاديا، اعلاميا سياحيا...الخ، والسؤال هو انا لم تتحرك هذه الدول بينما كانت احدى الدول العربية تدمر

Digitized by Birzeit University Library

التحالف المعادي للعراق وبالتالي موضوعيا حليفا للولايات المتحدة الامريكية. ان حالة تغيير المواقع السياسية طبقا للمكان والجغرافيا كما هو الحال بالنسبة للكثير من فصائل "حركة التحرر الوطني العربية"، يدل على ان هذه الحركة تعاني من ازمة بنيوية، وفي ظل هذه الحالة لا تشكل هذه الحركة بديلا مقبولا للشعوب العربية.

ثالثا: على الصعيد الفلسطيني:

.....

على الصعيد النظري:

ان اكثر المهام الحاحا على هذا الصعيد، والتي تقع على عاتق مثقفينا تنفيذها، هي دراسة ما جرى من تغيرات جذرية على الصعيد العالمي - وخاصة في دول المنظومة الاشتراكية سابقا دراسة معمقة واستخلاص الدروس وتعميمها بشكل نظري مجرد. لان قضيتنا وقضايا المنطقة العربية بشكل عام ذات ارتباطات دولية وثيقة، فبدون فهم الواقع الدولي المتغير، سيصعب تحديد طبيعة ما سيحدث في منطقتنا. في هذا الاطار فان مهمة اساسية تقع على عاتق المفكرين اليساريين، هي اعادة قراءة النظرية الماركسية - اللينينية بشكل نقدي ودون مواقف مسبقة، وليس باعتبارها نظرية فوق النظريات الاخرى، بل يجب اعادة قراءتها ووصفها ضمن اطارها التاريخي المناسب. وتطبيق العام منها فقط على الخاص العربي الفلسطيني. ان منطق المسلمات، والخطوط الحمراء في النظرية والتعامل معها باعتبارها اكبر من ان تنتقد يجب ان يولي بلا رجعة. فاذا لم نتجرأ اليوم على الانتقاد العلمي والصريح دون الخوف من سوط الاتهام بالانتهازية والتحريف، فكيف سنتجرأ على انتقاد واقعنا من اجل تغييره.

قد يبدو للكثيرين ان مثل هذه المهمة هي ضرب من الترف الفكري، ان من يعتقد ذلك يتغاضى حقيقة كون الكثير من اخطائنا نجمت عن عدم وضوح وضبابية في الرؤية والاستهتار بالدراسة والتخطيط المبنيان على اسس نظرية، علمية صحيحة.

على الصعيد السياسي:

في هذا الاطار تبرز المهام التالية:

* ان شعار الديمقراطية والذي رفع قديما من قبل الحركات الوطنية والتقدمية في الوطن العربي وما زال يطرح حتى الان، يجب ان يعاد طرحه من جديد بعد اكسابه ابعادا ومضامين عملية. فلا يمكن ان ارفع شعار الديمقراطية بشكل مجرد وكفى الله المؤمنين شر القتال. فالمهمة الاساسية الملقاة على عاتقنا هو ربط شعار الديمقراطية بتصور محدد وعملي لتكريس الديمقراطية فعلا وممارستها. في هذا السياق فان المطالبة بتطبيق الديمقراطية كما هي مطبقة في دول اوروبا الغربية، هو الشعار الاكثر واقعية في هذه المرحلة وذلك من ناحيتين، الاولى ان هذا النمط هو شكل متقدم جدا عما هو سائد في وطننا العربي باكمله من بنى سياسية، فالديمقراطية الغربية "البرجوازية" تتجاوز كونها فقط مسالة تعدد احزاب وديمقراطية برلمانية، بل انها تشمل اقامة بنى ومؤسسات دستورية مستقلة نسبيا من جيش وشرطة واجهزة اقتصادية - مصرفية - وبنكية لا تخضع لسياسات الحزب الحاكم واهوائه. والناحية الثانية هو ان طرح هذا الشعار يحرج امريكا وحلفائها الاوروبيين، الذين يتشدقون بالديمقراطية وحقوق الانسان، فليتفضلوا للتاثير على حلفائهم من الرجعيين العرب وحكام النفط من اجل تطبيق الديمقراطية.

انني مدرك تماما من ان تطبيق وممارسة الديمقراطية هي عملية طويلة ومعقدة وشاقة جدا، خاصة وان ذلك يتطلب زمنا طويلا وتحولا جذريا في اساليب التفكير وممارسة العمل السياسي والحزبي، يكون مترافقا مع مستوى معين من التطور الاقتصادي، الا ان كل ذلك لا يمنع من طرح الشعار والية تنفيذه والتعبئة الجماهيرية والسياسية حوله.

* على الصعيد الفلسطيني تبرز قضية الديمقراطية في مقدمة سلم الاولويات. الم يحن الوقت لتشكيل جديد وديمقراطي حقا لجميع مؤسسات منظمة التحرير بدءا بالمجلس الوطني وانتهاء باصغر جهاز وممثليه؟ تشكيل يراعي بالدرجة الاولى الكفاءة والاخلاص في العمل والتفاني والتضحية، هذه المصطلحات التي بدأت بالتلاشي من القاموس الفلسطيني. الم يحن الوقت لوقفة تقييمية جدية لتعيد صياغة البرنامج بما يتلاءم والوضع الجديد الناشىء. ان اعادة الصياغة لا تعني التنازل كما يحلو للبعض تصويرها. ان قول وتكرير البعض لعبارة "ان برنامجنا قائم وحيوي ولا حاجة لتغييره" ما هو الا خوف من التغيير، والذي ان حصل يجب ان يطال الجميع بدون استثناء.

لقد جرت العادة في الدول والحكومات المتحضرة والتي ان لم تكن حريصة على شعوبها فهي على الاقل حريصة على نفسها ان تعيد تقييم الامور وصياغتها وتغيير الوجوه. فاذا لم تشعر قيادتنا بالحاجة الماسة الان الى التغيير فمتى ستشعر بذلك؟!! نقول ذلك لان الحرب انتهت منذ شهر تقريبا (والزمن يلعب دورا حاسما في مثل هذه الاوقات)، ولم نشعر باية مبادرة

Digitized by Birzeit University Library

باتجاه تقييم جدي لما حصل على صعيد القيادة الفلسطينية. ان المحزن في الموضوع ان الجميع يدرك ويحس بالخطر القادم ولا احد يحرك ساكنا.

على الصعيد الحياتي والمعيشي:

ما يقرب من النصف مليون فلسطيني في الخليج تضرروا، بشكل كبير جراء الازمة و ١,٧ مليون فلسطيني اخر في المناطق المحتلة عانوا الامرين من اطول حصار وتجويع اقتصادي يفرض عليهم من قبل سلطات الاحتلال. ان ما حدث هو كارثة حقيقية حلت بالمواطنين يصعب تقدير حجمها الان، لان الكثير من اثارها ستبرز لاحقا على المستويين المتوسط والبعيد. بالرغم من ذلك لم نشعر بان القيادة الفلسطينية قد وضعت برنامجا عمليا وشاملا ومستندا على حقائق وارقام لمواجهة هذا التطور. ان المماطلة في ذلك هو بمثابة اللعب بالنار، فالمواطنين هم الوقود والدعامة الاساسية للثورة ومنظمة التحرير فبالرغم من ان طاقة المواطنين في التحمل كبيرة جدا وقد اثبتوا ذلك، الا ان ما حصل يتطلب وقفة جدية للنظر في كيفية الخروج من هذه الازمة الخانقة، والا سيشكل ذلك ثغرة كبيرة ستحاول دائما القوى المعادية النفاذ منها، وستكون نتائجها السياسية وخيمة جدا، اذا لم يتم تداركها وبسرعة كبيرة. ان هذه المهمة لا تحتمل التاجيل بتاتا.

الى هذا القدر وسنكتفي، دون الادعاء بالالمام بكافة جوانب الموضوع، فكما ذكرت في سياق هذه المقالة فان هذه المهمة اكبر بكثير من ان تكون جهدا فرديا، بل ان استخلاص العبر وتحديد المهام ستكون بالنهاية محصلة جهد جماعي ومخلص.

ملاحظة: نعتذر للزميل صلاح عبد الشافي وللقراء الاعزاء لعدم تمكننا من نشر مقاله كاملا وذلك لاسباب خارجة عن ارادتنا.

المحرر

"الامم المتحدة - والعالم الجديد"

محسن ابو رمضان

غزة/ جامعة بيرزيت

منذ انهيار بلدان اوروبا الشرقية وتفاعل الازمة الداخلية في الاتحاد السوفييتي وانشغاله بهمومه الداخلية - تغيرت خارطة الصراع الدولي، ولقد فهمت الولايات المتحدة انتهاء الحرب الباردة بانها انتهاء للقطب "الاشتراكي" المنافس في الصراع الدولي ومقدمة لتشكيل عالم جديد قائم على هيمنتها وسيطرتها وتبوئها لراس هرمه العالمي - نظام يخضع لها ولارادتها السياسية - نظام يخدم مصالحها الاستراتيجية ويحول بلدان العالم لمظلة دولية تتستر ورائها عبر الامم المتحدة.. بهدف السيطرة على بلدان العالم الثالث والتي تريده واشنطن مزرعة احتكارية ضخمة، وبقرة حلوب تدر الخيرات لها على حساب الجماهير الشعبية المسحوقة في تلك البلدان والتي تنخرها الامراض وتلم بها كوارث الفقر والجهل والمجاعة.

ولقد كانت حرب الخليج اختبارا حقيقيا للتوجه الامريكي الجديد. فقد وظفت الولايات المتحدة اعلى مؤسسة دولية "مجلس الامن" لتنفيذ ارادتها، واتخذت العديد من الاجراءات والقرارات بحق العراق مستغلة احتلاله للكويت ومستخدمة اياها، كذريعة لتحقيق غاياتها بتدمير القدرة العسكرية العراقية، بوصفها قوة اقليمية مقلقة للامبريالية، وموازية في الصراع ضد الاحتلال الاسرائيلي، وبهدف تحطيم بنيته التحتية، ليشكل عينة ونموذجا يعمم على بلدان العالم الثالث، والتي تطمح للاستقلال والتقدم الاقتصادي، عبر شعار "ثرواتنا لنا" وذلك كما اطلقت القيادة العراقية من خلال شعار "ثروات العرب للعرب".

وفي حقيقة الامر فان جدلا واسعا تفاعل في الساحة الفلسطينية حول جدوى الامم المتحدة، بعد اتضاح الطبيعة الازدواجية الانتقائية بالتعامل مع قراراتها وفق سياسة الكيل بمكيالين والتي فرضتها الولايات المتحدة على المجتمع الدولي، خاصة ان العديد من القرارات بصدد قضية شعبنا لم يتم تطبيقها، رغم استمرارية المعاناة والقهر من قبل الاحتلال، فقرار يقضي بتوفير الحماية الدولية على شعبنا لم يترجم، رغم مجازر وجرائم الاحتلال المستمرة، ان الخارطة الدولية الجديدة: قد اتضحت بعد حرب الخليج، انه عالم مهيمن عليه من القطب الامريكي ولا يوجد اي اقطاب موازية لهذا القطب المسيطر.

Digitized by Birzeit University Library

وقد يبرز هنا تساؤل حول الدور للقوى العالمية الاخرى، في اطار الخارطة الدولية الجديدة، ويتمحور التساؤل حول الدور الاوروبي واليابانى نظرا لعدم اتضاح نتائج تفاعلات الاوضاع بالاتحاد السوفييتي، والذي لم يعد يشكل قطبا موازيا في الصراع ضد الولايات المتحدة، فدعونا نلقي نظرة على طبيعة الموقفين الاوروبي واليابانى.

١) اوروبا:

لقد ابرزت تفاعلات حرب الخليج عدم انفصال الموقف الاوروبي عن الامريكي، فبعد ان اكدت فرنسا مثلا على ان قواتها المرسلة للخليج تهدف الى حماية السعودية او جلاء القوات العراقية عن الكويت، تورطت الاخيرة بكل الاهداف الامريكية لدرجة انها توغلت مع القوات الامريكية في اراضي العراق، وقد شاركت القوات الفرنسية بفاعلية بتدمير البنية التحتية العراقية، وفي عمليات القتل الجماعي بحق الابرياء من الشعب العراقي، كما تم في جريمة القتل الجماعي في ملجأ العامرية، ورغم تصريحات ميتران بعد انتهاء الحرب حول وجوب عدم اغتيال الشرعية الدولية وضرورة تحقيق السلام، وانصاف حقوق الشعب الفلسطيني بالوطن والدولة، الا ان الموقف الفرنسي لم يرتقي موقفه لدرجة الانفصال التام عن الموقف الامريكي. وما جولة بوش الى فرنسا واجتماعه مع ميتران في جزر المارتنيك الا بهدف استيعاب الموقف الفرنسي والذي اعرب عن جاهزيته للاستيعاب - كما بينت مجريات الحرب، ورغم ان المجموعة الاوروبية وممثلي التروبكا اكدوا على ضرورة تطبيق قرارات الشرعية الدولية الخاصة بالقضية الفلسطينية الا ان تجاهلهم الاخير م.ت.ف ياتي في سياق تنفيذهم لرغبة وارادة واشنطن والتي تريد انهاء دور م.ت.ف، وقد بينت تفاعلات الحرب، ارتباطية المانيا بامريكا، حيث الدعم المالي والسياسي، ولا داعي للحديث عن الموقف البريطاني المستمر بذيليته لامريكا، وعليه ورغم الحديث الكثير عن الوحدة الاوروبية الاقتصادية المتوقعة عام ٩٢ وبالتالي السياسية الا ان تفاعلات الحرب لم تشر الى وجود حالة من الاستقلالية الاوروبية عن واشنطن.

٢) اليابان:

رغم انها تشكل كتلة اقتصادية واضحة حيث ان منتوجاتها ما زالت تغزو الاسواق العالمية لدرجة انها تغزو سوق الولايات المتحدة، الا ان اليابان اكدت على تبعيتها سياسيا للبيت الابيض حيث الدعم المالي الكثيف، والدعم السياسي للعدوان وبناء على ما تقدم فان موقف اوروبا واليابان اثناء وبعد الحرب، لم يشر الى استقلالية الاولى واكد على تبعية الثانية - ويجب ان لا يعني ذلك تغييبنا لطبيعة التناقض والتنافس الاقتصادي بين تلك الاقطاب "اليابان، واوروبا" مع الولايات المتحدة.. الا ان هذا التنافس سيكون في اطار المعسكر الراسمالي "الواحد" وسيتم تذليل التناقضات بينهما بهدف توحيد جهودهم الاستغلالية ضد بلدان العالم الثالث - على طريق بقائهم في فلك التبعية السياسية الاقتصادية.

ان نتائج ما بعد الحرب والتي اظهرت تفرد الولايات المتحدة - بترتيباتها الامنية - والسياسية بالمنطقة حسب ما اشارت جولتي بيكر - وكذلك استمرارية فرض الاجراءات الاذلالية بحق العراق - حسب الشروط المذلة لوقف اطلاق النار - المقدم من قبل واشنطن - بمجلس الامن والتي تمت المصادقة عليها من باقي اطراف اعضاء المجلس، ان كل ذلك يؤكد سمات العالم الجديدة والتي تريده واشنطن لسياستها الانتقائية فالولت التي تملك به اسرائيل ترسانة اسلحة نووية وجرثومية وكيميائية والعديد من دول المنطقة - فانها تريد سلب العراق وحده من قوته دون فرض نفس القرارات على البلدان المسلحة بالاسلحة غير التقليدية والتي تعيش في نفس المنطقة مثل اسرائيل وايران ومصر وباكستان. ان التدخل العسكري الاميركي السافر في شمال العراق بحجة دعم الاكراد، يؤكد مستوى استخفاف الولايات المتحدة بالامم المتحدة وبالقرارات الدولية، ويؤكد تعاملها مع ذاتها بوصفها سيدة العالم والقيصر المسيطر على رأس هرم المعمورة. واستنادا لما تقدم فان عدم وجود اصطفاف دولي منافس للولايات المتحدة لن يخلق آمالا كبيرة على الامم المتحدة وقرارات الشرعية الدولية فالاحلام الرومانسية عن التعاون الدولي وعن سياسة توازن المصالح يجب اعادة النظر بها، فالامبريالية كما هي - من طبيعة عدوانية - ولن تغير اهدافها واطماعها - ظالما - لم يتبلور قطب مواز ومضاد لها على المسرح السياسي، وقد يقال هنا ان ناميبيا مثلا حققت استقلالها بالاستناد الى الامم المتحدة وقراراتها ولكن هل حققت ذلك دون موازين قوى كفاحية داخلية ودون دعم اممي ايضا.

وبتقديرنا فان السؤال الملح والحاسم والذي يبرز وبقوة امام الشعوب وحركاتها التحررية عن الية تشكيل القطب المناهض لواشنطن بعد تفردها وهيمنتها عالميا على ما يسمى "بالنظام الدولي الجديد" وباعتقادنا فان وحدة الفقراء في الجنوب سيكون خطوة اساسية في مواجهة وحدة راس المال في الشمال لتحقيق توازن في المعادلة الدولية، ان تشابك فقراء الجنوب مع القوى الشعبية والمحبة للسلام في العالم سيساهم بتفعيل دور البلدان المطالبة

Digitized by Birzeit University Library

بتنفيذ قرارات الشرعية الدولية على كافة الفزاعات الاقليمية بطريقة عادلة وبمقياس واحد، ان تحقيق ذلك سيساهم بتغيير ماهية الامم المتحدة عما عليها الان من التبعية لواشنطن ويحولها الى قانون عادل يحقق قيم السلام والعدالة.

ان هذه المسألة ليست هينة وهي بحاجة لكفاح مرير ومعقد ولكن ايماننا بقدرة الشعوب على الخلق والابداع وعدم الاستسلام لليأس والفطرسة الامبريالية سيجعلنا واثقين من حتمية تحقيق عالم جديد حقا ولكن ليس على الطريقة الامريكية، ان ذلك يحتاج الى اعادة صياغة البرامج السياسية والكفاحية لفاعليات التحرر العربي والاسلامي وذلك بعد الشلل الذي انتاب تلك الفاعليات وفق ما افرزت تفاعلات الحرب، ان سلب الامم المتحدة وقراراتها من فاعليتها والاستحواذ عليها امريكيا لا يلغي وجوب التركيز فلسطينيا على ضرورة تطبيق قرارات الشرعية الدولية الخاصة بالقضية الفلسطينية بوصف تلك القرارات تشكل ورقة رابحة دبلوماسيا واعلاميا وسياسيا وستساهم في احراج الولايات المتحدة وكشف سياستها الانتقائية الا ان ذلك يجب ان يقرن بالتفكير الجاد بكيفية تغيير موازين القوى.

ان معالجة الشلل البنيوي في حركة التحرر العربي يشكل المقدمة الاساسية على طريق تغيير موازين القوى التي عبرها يتم فرض الموقف الفلسطيني والشعب العربي على البيت الابيض وسيجبرها على الانحناء للمنطق العقلاني وللارادة الدولية على طريق تطبيق القرارات الدولية بحق قضية شعبنا وفي سبيل حقوقه المشروعة بتقرير المصير وانجاز الحرية والاستقلال.

تقرير للادارة المدنية يؤكد ان مليون فلسطيني يعيشون في البضة

اكد تقرير داخلي للادارة المدنية في الضفة الغربية يغطي تطورات المنطقة خلال الـ ١٥ عاما الماضية بان عدد سكان الضفة الغربية الفلسطينيين في الضفة يصل اليوم الى اكثر من مليون نسمة.

والجدير بالذكر انه لم تجر عملية احصاء للسكان بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧، لكن وفقا لتقديرات مكتب الاحصاء المركزي فقد وصل عدد سكان الضفة الغربية في العام ١٩٨٩ الى ٩٠٢٦٠٠ نسمة فقط، لكن معطيات التسجيل التابعة للادارة المدنية تؤكد ان عدد السكان يصل الى مليون و ٣٢٨ الف نسمة، ويجب ان نخفض من هذا العدد حوالي ١٦٣ الف نسمة يعيشون في الخارج وعددا من الكبار بالسن والاطفال الذين توفوا ولم يتم احصائهم كما تقول صحيفة "هآرتس" (٤/٨) التي اوردت النبأ.

ووفقا للتوقعات سيصل عدد سكان الضفة الغربية بعد ١٤ عاما مليون و ٦٧٧ الف نسمة.

ويؤكد البحث الذي قام به عدد من المتخصصين الذين استخدمتهم الادارة المدنية من اجل اعطاء صورة عن التطورات المتوقعة في المنطقة حتى عام ٢٠٠٥ بأن المجتمع الفلسطيني اصبح اكثر تعليما واكثر "ادلجة" لكنه سيبقى مرتبطا مع قوى خارجية، وبالدول المجاورة، وستستمر مسيرة بناء المؤسسات الوطنية والدينية والسياسية، كما ستتعزز "التوجهات المتطرفة".

ويؤكد التقرير بان الاستثمارات للفرد في اسرائيل تبلغ ٣٠٥ ضعفا منها في الضفة الغربية، ويعتبر اقتصاد الضفة مرتبطا بصورة تامة بالاقتصاد الاسرائيلي، اما معطيات البناء المحدودة جدا فتشير الى انه لا توجد اية تطورات استعدادا لبناء قاعدة اقتصادية مستقلة، اما المنطقة المستغلة في الضفة الغربية من قبل الفلسطينيين فقد وصلت الى ذروتها وليس بالامكان زيادة حجمها.

واكد التقرير بان كمية المياه التي تسحب من اجل الفلسطينيين لم تتغير منذ العام ١٩٦٩ وبقيت في مستوى ٢٠٥ مليون متر مكعب وفقط ٥،٣ مليون متر مكعب من مياه الشرب تزودها بها اسرائيل.

وكما هو معروف فان احتياجات المستوطنات للفرد من المياه تبلغ اكثر من عشرة اضعاف الكمية التي يستهلكها الفرد في الضفة الغربية لكن التقرير امتنع عن تناول هذه المعطيات.

Digitized by Birzeit University Library

قائمة باسماء شهداء الشهر الحادي والاربعين للانتفاضة

مع صدور هذا العدد تكون الانتفاضة على اعتاب شهرها الثاني والاربعين، وهي تتواصل في ظل اجراءات مشددة تفرضها سلطات الاحتلال الاسرائيلية، وقد سقط خلال الشهر الماضي من عمر الانتفاضة (١٠) شهداء. وبذلك يصل عدد شهداء الانتفاضة (١٠٥٤) شهيدا.

وفيما يلي قائمة باسماء شهداء الشهر الماضي:

الاثنين ١٩٩١/٤/١

- عوض احمد ابو لحية (٢٥ عاما) القرارة/ قطاع غزة. أصيب بعيار ناري في صدره اطلقه المستوطنون اثر تعرضهم للرشق بالحجارة يوم ١٩٩١/٣/٢.

الجمعة ١٩٩١/٤/٥

- محمد يوسف محمد الحروب (١٦ عاما) دورا/الخليل. أصيب بعيارات نارية.

السبت ١٩٩١/٤/٦

- محمود محمد سليم عليان (١٤ عاما) مخيم الفارعة/نابلس. أصيب خلال مواجهات شهدها المخيم.

الجمعة ١٩٩١/٤/١٣

- محمد محمود ابو كرش (٤٥ عاما) غزة. مختنقا بالغاز المسيل للدموع.

الاحد ١٩٩١/٤/١٤

- منذر ناجي رشيد (٣٣ عاما) الخليل. كان يقود سيارة خاصة اصطدمت بجندي من احدى الدوريات الراجلة فاطلق عليه جندي آخر النار.

الاثنين ١٩٩١/٤/١٥

- عمرو حرب الصبار (١٢ عاما) البيرة/رام الله. أصيب برصاص مستوطن قرب مقبرة البيرة.

- محمد عبد الله عاشور (٢٧ عاما) رفح/قطاع غزة. أطلقت عليه النار من زورق في البحر قبالة المخيم السويدي.

الثلاثاء ١٩٩١/٤/١٦

- عبد القادر عزمي الواوي (٨ اعوام) نابلس. دهسه مستوطن في شارع فيصل بالمدينة.

- عز الدين منير ناصر الدين (٢٠ عاما) الخليل. اصيب بعيارات نارية في محيط مسجد الانصار المجاور لبيته في شارع السلام، واستشهد على اثرها.

الاربعاء ١٩٩١/٤/٢٤

- حسن محمد ابو مر (٢١ عاما) رفح/قطاع غزة. أطلقت عليه النار عندما كان متوجها الى الادارة المدنية، لانهاء معاملة له.

واسرة تحرير مجلة "الكاتب" اذ تنحني اجلالا للشهداء البررة، تتقدم من شعبنا الفلسطيني وأهل الشهداء بخالص العزاء.

Digitized by Birzeit University Library

المطلوب اطار قومي تقدمي

للتفكير والممارسة

جبريل محمد

منذ نهاية القرن الماضي، ومع بدايات القرن الحالي، وامتنا العربية مثل سيزيف تحمل همومها القومية الوحدوية، وتنهض وما ان تصل الى نقطة التحول الى نهاية الجبل، حتى تتكالب الامم الاخرى عليها لتترك صخرتها تتدحرج مرة اخرى، وحتى الان تعثر المشروع القومي العربي الوحدوي في مراحله المختلفة تعثرا ترك اثاره الجسيمة والعميقة في الوعي العربي، وفي واقع الامة الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، وكانت اغلب عمليات الاجهاض للمشاريع القومية العربية، تاتي من خارج ارادة الامة، تفرض عليها واقع التجزئة فرضا، وتحول دون ان يشكل الوطن العربي من محيطه الى خليجه وحدة اقتصادية/اجتماعية وسياسية واحدة. فمن محمد علي في مصر الى مشروع الجمعيات السرية الذي اسلم للهاشميين فضربته بريطانيا وفرنسا باتفاقية سايكس بيكو، الى المشروع القومي الناصري، كلها كانت مشاريع واقعية بغض النظر عن مدى الاختلاف الايديولوجي معها، الا ان التضافر الاستعماري في كل مرة كان يحول دون ان يرى هذا المشروع النور، وينير حياة المجتمع العربي بآفاق التقدم والازدهار.

والان وفي ظل نتائج الحرب الامبريالية على العراق، هل انتهى المشروع القومي ام بدأ؟، وهل هناك ضرورة تخطيطية لفهم المشروع القومي، ام ان المشروع بما هو مشروع هو امر ضروري لاستنهاض الامة؟

يقينا ان احدى اهم نتائج الوثبة العراقية، ليس في النتائج السياسية المباشرة، بل في الافاق التي فتحتها على صعيد الوعي بالهوية القومية، وادراك قوة

المفكرون الفلسطينيون والعرب:

مع "الكاتب" في الحوار الايديولوجي - السياسي حول المشروع القومي العربي والقضية الفلسطينية

اسرة تحرير المجلة، تبدأ من هذا العدد بنشر المقالات الفكرية (الايديولوجية) والسياسية، التي تتناول المشروع القومي العربي، قضايا العالم العربي الراهنة وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

وكانت اسرة التحرير، وجهت الدعوة للمساهمة النشطة في هذا الحوار من على صفحات المجلة، للكتاب العرب والفلسطينيين، بهدف تعميق محتوى ومضمون القضايا التي تواجهها البلدان والشعوب العربية في مختلف الميادين، وتبيان السبل الكفيلة بتذليل العقبات التي تقف امام الشعوب العربية، الساعية الى التقدم والتحرر والديموقراطية، والشعب العربي الفلسطيني المكافح في سبيل حريته واستقلاله.

Digitized by Birzeit University Library

الطاقة المختزنة في تكامل الهوية وسيرها في طريق التقدم، فلم يعد السؤال يلتمس بواقع التجزئة في ظل الحرب ونتائجها، بل كان الجواب ردا على هذا الواقع ونفيا له وبالتالي فان كيان عربي قوي في قطر من الاقطار كالعراق مثلا، كان قادرا على اعادة الروح للاطار القومي والوعي القومي، وفي ظل تكون الكيانات الكبيرة في العالم يصبح لهذه الروح ضرورة ان تبحث عن جسمها المادي، لا بمنطق البحث عن واقع لفكرة موجودة، بل بمنطق الدمج بين الروح القومية المتاصلة تاريخيا وبين الوطن المنتزع من واقع التجزئة والتفتيت. ويصبح لروح المشاعر ايضا اسبابها التاريخية في الخلاص من واقع التخلف، والخلاص من واقع الفوارق في توزيع الثروة، اي تصبح كيانا متكاملا، حيا ينمو، ويتطور في الفعل النشط من اجل تحقيقه.

فنتائج الحرب الامبريالية على العراق لا تحسب ابدا بحجم الخسارة العسكرية، وحجم الدمار الذي لحق ببغداد ومدن العراق الاخرى، ولكن الحساب الجدي لنتائج الحرب هو في الحقد الذي زاد وتاصل على اميركا والاستعمار بين الجماهير العربية، تحسب في الوعي الجديد الذي يحتاج الى قوى سياسية جديدة وبتفكير جديد غير تفكير "غوربي" الجديد لتلتقط هذه البذرة وتنميها.

اما فشل المشاريع السابقة فان كان للاستعمار الدور الاكبر في تحقيقه، فان اعفاء الذات العربية نفسها من هذا الفشل، يصبح محاولة لتبرير التاريخ اكثر من البحث في اسباب، وضرورات سيره، هناك عوامل داخلية تضاف الى العامل الخارجي، لا بل ان العلاقة ليست مجرد تضايف بل هناك تسبيب متبادل، بين الداخلي والخارجي في فشل المشروع القومي. فمن العوامل الداخلية كانت انانية طبقات الملاك الكبار والتجار الكبار، ومروجي بضاعتهم من المثقفين المتغربنين، والذين لم يكونوا سوى مطية لتنفيذ مشروع التجزئة، وتبرير الكيانات الاقليمية وتفتيت المكون الثقافي الحضاري العربي، الى مكونات اقليمية مبتورة، كالفينيقية الكتائبية، والفرعونية المصرية، هذا اضافة للارتباطات الجديدة بالاستعمار الجديد، هذه الارتباطات التي عززت الكيانات الاقليمية ودافعت عنها، مع ما تسرب الى نفوس بلدان النفط الخليجية من روح قطرية كانت ثمرة الحرص على الامتيازات التي توفرها لهم العوائد الخيالية للنفط. ليصبح كل عربي في ارض بلدان الخليج هو اجنبي، وكل عربي هو من دولة صديقة.

بعد هذه المقدمة نرى ان كل الظروف التي نعيشها، (احتلال الارض، التخلف، الضعف، ...الخ) تؤكد ان المشروع القومي هو ضرورة ملحة لحل كافة الاشكالات التي تعاني منها الامة العربية، وان هذا المشروع يجب ان يتحدد بسمات العصر الذي نعيش، عصر الكيانات الكبرى، وعصر مواجهة القطب الاوحد شرطي العالم اميركا. ومن هنا تبرز مسألة ما اذا كانت القومية فكرا، ام اطارا لمنهج فكري يحمل في طياته برامج اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية، تريد ان تصبح موضع التطبيق والممارسة، وتتكامل لتعطي سمات الامة بالاستناد الى تاريخها ومكونها الحضاري الثقافي الغني مع ارتباطات هذه المكونات بالحضارة والنشاط الانساني للامم الاخرى وتفاعلهما المشترك؟.

فالفكر الانساني بغض النظر عن الامة التي انتجته، يصبح خارج حدود امتلاك هذه الامة واحتكارها له، لانه ليس كالبضاعة يمكن الحجر عليه بالحواجز الجمركية، بل هو في حالة تشكله وانتشاره يصبح ملكا للانسانية، هذا رغم ان كل فكر منتج بشكل جماعي هو في النهاية يحمل صبغة الامة التي انتجته، ويعكس مستوى حضارتها المادية والروحية، فقد اغتنى الفكر الاسلامي بالفكر اليوناني والروماني القديمين حين انتج فلاسفة ومفكرين وعلماء امثال الفارابي وابن رشد وابن سيناوالكندي وغيرهم، والفكر الراسمالي الاوروبي الحديث تاصل في البداية باستلهامه لكثير من المنتج الفكري العربي، لذا لا يمكن ان تكون القومية فكرا، وليس هناك امكانية للقول ان هناك فكر لقومية دون اخرى، بل هناك فكر انساني انتشر في قوميات وامم محددة.

ان القومية هي اطار اجتماعي لتحقيق الفكر المنتج والفكر الوافد، وبالتالي فاننا نجد كثيرا من الامثال الشعبية تدرج في اوساط امم متعددة، كما ان هناك عادات وتقاليد عامة يتسم بها المجتمع الانساني، اضافة للخاص المكون لكل مجتمع.

والقومية هي نتاج تاريخي لحركة اجتماعية معقدة تكسب كل مجتمع سماته الخاصة، ومضامينه الخاصة، ضمن الاطار الاجتماعي العام الذي يعتبر نتيجة لفعل القوانين الاجتماعية العامة، لذا فالقومية ليست حالة فكرية، والوعي بها او بضرورتها، يعني وجودها اما في الواقع او في الامكان.

على ان الوعي بضرورة التكامل القومي والوحدة القومية بالنسبة للامة العربية، تعني ضرورة انهاء واقع التجزئة المفروض والذي يحميه بشكل موضوعي الاستعمار بقديمه وجديده ومحدثه، اي ان الوحدة العربية كتجسيد مادي لتحقيق فكرة القومية او مفهوم القومية، هي عملية نضالية وثورية، تضع نفسها ليس في تناقض فحسب مع الاستعمار، بل في حالة صراع معه. وبالتالي فان اي حركة تنشد الوحدة العربية هي حركة تقدمية ولو في جانب مهمتها الموضوعية، وفي سعيها لتحقيق هذه

Digitized by Birzeit University Library

الوحدة لا بد لها حتما ان تصطدم بالاستعمار والاحتكار الراسمالي العالمي الامر الذي يعمق من المفاهيم التقدمية لديها، وهي حركة في سعيها لتجاوز التجزئة لا بد ان تطرح برنامجا اجتماعيا لتضم اكبر قطاع جماهيري حولها وبالتالي لا بد لها ان تعنى بمطالب الجماهير الشعبية، وهنا تحدد الحركة القومية في سيرها الموضوعي طبيعة الفكر الذي تحمله، وطبيعة التوجه الذي يشير فيه، فكما ان القومية في مرحلة بسمارك وغاريبالدي ليست هي القومية في مرحلة موسوليني وهتلر، فان القومية العربية لم تجرب حتى الان ان تكون هتلرا او موسوليني، بل انها لا زالت دون مرحلة غاريبالدي، فقومية غاريبالدي حطمت الاقطاع لتبني الدولة القومية البرجوازية الايطالية، بينما قومية موسوليني كانت تعبيرا عن تطور الاحتكار واعادة تقسيم العالم.

وفي الشعارات القومية العربية يجب ان نفرق بين "قومية حسني مبارك" و "قومية صدام حسين" وبين الاثنتين وقومية تحاول بناء مجتمع العدل والمساواة في الوطن العربي. بين قومية تسعى لتعميق ارتباط كل الوطن العربي بعجلة الامبريالية وقومية تحاول ان تبني برجوازيتها القوية القادرة، وقومية تحاول تحقيق الاستقلال الاقتصادي والعدالة الاجتماعية معا، فالاولى رجعية وهي في النهاية منكفئة لا محالة الى الاقليمية، اما الثانية ففيها جوانب تقدمية يجب ان تسند ويقدم لها الدعم كيما تسهل فعل الاطار الثالث وهو القومية المستندة الى العدل الاجتماعي والاخاء الانساني.

ان تمزّ النزعات الاقليمية بفعل استمرار واقع التجزئة المفروض، حقق امتيازات طبقية لحفنة بسيطة لا يمكنها تحقيقها في الاطار القومي العام حتى لو كان راسماليا، كما يحصل في دول الخليج، حيث اصبحت امتيازات الثروة النفطية عاملا مهما من عوامل تعزيز النزعة القطرية، كذلك هناك عوامل سياسية وساهمت في تعزيز النزعة الاقليمية، كالتماشي مع الاطار الاستعماري في بناء اطر اقليمية لحركات التحرر، وتبرير قطرية هذه الحركات، بحجة تفاوت التطور بين الاقطار العربية المختلفة وكان الجانب الاقتصادي وحده هو الذي يحدد تفاوت التطور، بينما لا يحدد هذا التفاوت جوانب اخرى، تسهم في ردم هوة هذا التفاوت كالموروث الثقافي الحضاري، ودرجة سيادة البنية الاجتماعية التقليدية والتي تسود اقطار الوطن العربي.

وهنا لسنا بمعرض مناقشة التيار القومي في ثلاثينيات هذا القرن واربعينياته، وانما نحاول هنا ان نناقش بشكل مختصر وضع الحركات السياسية العربية في خمسينيات هذا القرن وما تلاها حيث ظهرت بجلاء في تلك الفترة مشارب ايديولوجية سياسية يمكن تصنيفها الى ثلاث تيارات في موقفها من مسألة الوحدة العربية، ومن مسألة القومية العربية، هذه المسألة التي لا زالت الى وقت قريب وربما حتى الان مسالة خلافية، رغم خبو النقاش حولها، نتيجة انكفاء التيارات القومية بعد هزيمة ١٩٦٧، وبعد وفاة جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠.

فالتيار الاول كان التيار القومي العربي باختلاف اتجاهاته اما التيار الثاني وهو التيار الشيوعي التقليدي في الوطن العربي، بينما كان التيار الثالث تيارا ذو سمة اشمل من العروبة وناقضها بالاسلام وهوالتيار الديني السلفي الذي تمثل بالاخوان المسلمين.

أ) التيار القومي:

رغم الدور الكبير الذي لعبه هذا التيار في تاجيج مشاعر القومية العربية، ورغم الشوط التحرري غير القليل الذي قطعه وانجزه في حقبة الخمسينيات الا ان هذا التيار عانى من جوانب قصور كثيرة اهمها هو عدم وجود ايديولوجيا سياسية محددة وواضحة وموحدة لدى اطرافه، لا بل انه اقحم نفسه في خلافات داخلية، بين التيارات القومية المختلفة كالناصريين وخلافهم مع البعث، او كالخلاف داخل حزب البعث العربي الاشتراكي نفسه، فقد عانى هذا التيار من عدم التحديد للايديولوجيا الاجتماعية التي يحملها ضمن الاشتراكية العربية التي طرحها عبد الناصر الى اشتراكية البعث، ومن الخلاف على اولوية الوحدة على الاشتراكية الى اولوية الاشتراكية على الوحدة، ومن ضرورة الحزب عند البعث، الى اتحاد قوى الشعب العامل تلك الصيغة المبهمة لرفض الحزبية عند الناصرية، الى العداء للاشتراكية الذي وقفته في باكورة عهدها حركة القوميين العرب. هذا التنوع في اطياف المواقف والبرامج السياسية لتيار القومية العربية انذاك لم يسمح بايجاد حركة القوميين العرب. هذا التنوع في اطياف المواقف والبرامج السياسية، لتيار القومية العربية انذاك لم يسمح بايجاد حركة عربية واحدة، ورغم ان البعث كان اكثر تحديدا ووضوحا بالاستناد الى فكر ميشيل عفلق الانتقلابي، الا ان الناصرية في فضفاضيتها كانت اوسع قاعدة جماهيرية، فبينما اقتصر انتشار حزب البعث على الاغلب في اقطار المشرق العربي، كانت الناصرية اعم واشمل، دخلت الى المغرب مع ثورة الجزائر، ودخلت الى المشرق مع تاميم قناة السويس والعدوان الثلاثي، رغم ذلك نستطيع القول ان البرنامج المحدد للوحدة العربية كان واضحا كمبدأ في برنامج البعث، بينما تظهر

Digitized by Birzeit University Library

وحدوية الناصرية كخدمة لنفوذ عبد الناصر العربي، ولعل فشل تجربة الوحدة العربية بين مصر وسوريا عام ١٩٦١ هو اثبات لامتحان مصداقية التوجه الوحدوي سواء للبعث الذي رغم حله للحزب استجابة للوحدة، ساهم بالانفصال، بينما الناصرية في ميمنتها على مؤسسات الوحدة اوجدت الشعور لدى البعث بالاحتواء. وبالتالي فان تجارب الوحدة العربية، اكدت ان التيار القومي في افتقاره الى مضمون ايديولوجي متماسك لم يستطع ان يحقق اهدافه وبالتالي دخل في ازمة بانت نتائجها في هزيمة ١٩٦٧. فالتيار القومي رغم اخلاصه للوحدة العربية، الا ان اخلاصه لم يكن ليكفي في تحقيق هذه الوحدة على الارض، فلم يستطع هذا التيار تشكيل جبهة قومية تقدمية على مستوى الوطن العربي تحقق ولو تجربة ناجحة واحدة.

II) التيار الشيوعي التقليدي:

على انسجامه الداخلي، وقوته التنظيمية، ورؤياه الطبقية، وقعت الاحزاب الشيوعية التقليدية في انحراف يساري مغامر بتجاهلها للمسالة القومية كمسالة ديمقراطية تقدمية، فايلائهم للطبقي اولوية على القومي وبعدم قدرتهم على حل معضلة التناقض بين القومي والطبقي في المسالة العربية، جعلهم يقفون في مواقف معادية للحركة القومية العربية، وجعلهم في كثير من الاحيان يقفون يبررون مواقفهم هذه بارضيات نظرية محرفة حول الامة العربية في طور التكوين، وحول الكومنترن العربي، وحول اشكال فدرالية، حيث ظهر الشيوعيون التقليديون انهم منسجمون مع واقع التجزئة او مكرسين لها. كما كان للقضية الفلسطينية وموقف الشيوعيين التقليديين منها اثر في وقوف الحركة القومية من الحركة الشيوعية موقفا اما متشككا او معاديا. فدفاع الشيوعيين عن الاتحاد السوفياتي كوحدة بين امم وقوميات مختلفة، لم ينبههم الى مسالة تبني قضية اسهل بكثير هو اعادة وحدة امة جزاها الاستعمار. ولا زال هذا الخطا يصر تحت اسنانهم، ورغم ذلك يدافعون عن مواقفهم المسبقة. ان الانعزال الجماهيري الذي عاناه الشيوعيون في الخمسينيات لم يكن بسبب القمع فقد كان يعانيه البعثيون وغيرهم ولكنه كان ايضا بسبب مواقف مخلصة للتحريف وللمفاهيم المسبقة على حساب رؤية الواقع، وبالتالي فقد افقدت معاداة الحركة القومية الشيوعيين اطارا كان يمكن ان يكون بوتقة ديمقراطية صاهرة للجماهير.

III) التيار الاسلامي:

ينتمي هذا التيار الى تيار الجامعة الاسلامية التي دعا اليها جمال الدين الافغاني والى فكر رشيد نهض وتاسس على منهج حسن البنا الذي اعتمد على سابقيه، ورغم اعتراف حسن البنا بالعروبة، كمحور للاسلام، الا ان دخول منهج ابو الاعلى المودودي (الهندي)، قد دفع الاخوان المسلمين الى وضع النزعة القومية في خانة ضنائع الاستعمار فالقومية بالنسبة لهم تعني ميلاد صنيعة جديدة معادية للاسلام، وتعني مواجهة الامة العربية بالامة الاسلامية وبالتالي اتخذ الاخوان المسلمون موقفا متطرفا تجاه الحركة القومية العربية، فعادت عبد الناصر ونعتته بالطاغية والمرتد... الخ، كما عادت البعث وكل الاشكال والحركات القومية، كما اتهمت البعث بالعلمانية والكفر، الامر الذي دفع الحركة القومية في استلامها للسلطة الى منع وحظر الاخوان المسلمين والجماعات الدينية الاخرى، وشن عبد الناصر حربا لا هوادة فيها عليهم، متخذا من الدمج بين العروبة كاطار والاسلام كقيم روحية غطاء لهجومه، وقد اضعف عبد الناصر والبعث الى حين الاخوان المسلمون، الا ان ضعف البعث وضعف عبد الناصر بعد هزيمة ١٩٦٧ قد انعشت هذه التيارات الدينية، والتي استغلت الهزيمة ايما استغلال.

ان وقوف التيار الديني ضد الوحدة العربية لم يكن لانها وحدة بل لانها عربية، فمعارضتهم لهذه الوحدة كان بمواجهتها بالوحدة الاسلامية، ولم يدفع التيار الديني ثمنا باهظا على المستوى الجماهيري لقاء معاداتهم للقومية العربية كما دفع الشيوعيون، وذلك بسبب تركيزهم على العقيدة الدينية المتاصلة في نفوس الجماهير.

الدروس المستفادة:

مما سبق نستطيع ان نخرج باستخلاصات يمكن ان تقدم مفاهيم عامة حول المسالة القومية العربية في نهاية القرن العشرين وعلى ابواب القرن الحادي والعشرين. هذه الدروس والاستخلاصات التي يجب ان تكون دافعا الى تقديم مفاهيم اوضح وادق تجاه المسالة القومية العربية، وتجاه المهمات الملقاة على عاتق الانسان العربي كيما يجد مكانه تحت شمس القرن القادم، وكي لا يبقى في ظلال الاحداث ينفعل بها ولا يفعل فيها ويصنعها.

وبدامة ان الاستخلاص الاول هو ان الكيان العربي الكبيرن والوحدة العربية هما ضرورة من ضرورات التقدم العربي وبدونهما لا يمكن ان ترقى الامة العربية من خلال التشرذم والحفاظ على الحدود المصطنعة، وبما ان بناء هذا الكيان الكبير، وتحقيق الوحدة العربية، هما عملية نضالية،

Digitized by Birzeit University Library

وتحتاج الى جهد كبير، وصبور، والى مقارعة اشرس الاعداء كما اثبتت الحرب الامبريالية على العراق، فان تحقيق هذا الهدف يحتاج الى قوى جدية والى اوسع جماهير عربية ملتفة حول هذه القوى، كما تحتاج الى برنامج واضح يلف هذه الجماهير حول هذا الهدف، هذا البرنامج الذي لا زال حتى الان مثار خلاف بين القوى والطبقات الاجتماعية المختلفة في الوطن العربي.

اما الاستخلاصات الاخرى: فهي ضرورة بناء الوعي القومي والانتماء للامة العربية، وتعميق هذا الوعي كوعي تقدمي يكسر الحواجز بين الاقطار المختلفة، وينمي شعورا قويا بالاحساس بالامة، اضافة لتهميش الكثير من النزعات الاقليمية، وتقديم قضايا الاقطار المختلفة على انها قضايا الامة جمعاء، وهذا لا يتطلب عملية تبشيرية فقط بل يتطلب ايضا الاطار السياسي الممارس للعملية نفسها.

اما الدروس المستفادة من الحقب السابقة فهي ضرورة تجاوز الخلل الذي عانت منه الحركة القومية السابقة سواء على الصعيد الايديولوجي ام على الصعيد السياسي والتنظيمي، وعدم تقديم منهج تخطيطي بقدر ما هو رسم للتكتيك الواضح سواء ببناء جبهات قومية تقدمية او تجمع شعبي قومي.. الخ. تكون العلاقات ضمنه علاقات تحالف ديمقراطي لاعلاقات هيمنة او تشرذم.

كذلك فان على الجزء الذي لا زال فيه بقية من حياة في حركة التحرر العربي وهم الشيوعيون العرب التقليديون ان يخرجوا من مومعة القوالب القديمة، وان يتحرروا من ذهنية التوقيع على التنظير الخارجي، لصالح انتاج المعرفة النظرية التقدمية الكاشفة لقانونيات التطور الخاصة في المجتمع العربي، وان يولوا المسالة القومية اهتمامهم، بحيث تكون قضيتهم الاولى، اي مثلما قال كل من مهدي عامل وكريم مروة، انتاج منهج بروليتاري في المسالة القومية، ومسالة التحرر الوطني.

اننا نرى الان نوعا جديدا من التوجه البراغماتي للحركة الدينية في تقصص المسالة القومية، وقد برز هذا واضحا في معركة العراق، حيث بات حديث هذا التيار عن العروبة والمزاوجة بينها وبين الاسلام، امرا مالوفا سواء في خطب الجمعة ام في بيانات الحركة الاسلامية..الخ، لقد انتبهت الحركة الدينية الى ضرورة استخدام العامل القومي في التحريض السياسي، والى محاولة الباس الحركة القومية والمفاهيم القومية، لبوسا دينيا، بعد ان كانت الحركة في فترة من الفترات حركة قومية علمانية ناصبتها الحركة الدينية العداء. فكانت تقول لا شرقية (الشيوعية) ولا غربية (القومية)، واليوم تحاول بنجاح المزاوجة والتي على ما يبدو انها ستطبع الحركة القومية بطابعها لفترة غير قليلة من الزمن.

وامام هذه الدروس لا بد لنا من تقديم فهم لحركة القومية العربية وفق ادراك المهمات التاريخية الملقاة على الاجيال العربية القادمة، هذا الفهم الذي يرى ان العداء للاستعمار، وللراسمالية لا يمكن الا ان يطور مفاهيم تقدمية وانسانية، لا بد ان تطور برنامجا اجتماعيا تقدميا على مستوى الوطن العربي ككل. فقد قدمت فصائل فلسطينية فهما قوميا تقدميا عابها التيار الشيوعي التقليدي عليه، كذلك تعرضت الى نقد من التيار القومي جراءه، الامر الذي اثر على برنامجها القومي وخفف من حدته في غمرة النضال الوطني الفلسطيني. الا ان الاحداث اثبتت ان المشروع القومي هو مشروع ضروري يحتاج الى حزبه السياسي او حركته السياسية الجسورة غير الهيابة لا من الصعاب ولا من تيرمات القطريين، والتي تقدم برنامجا اجتماعيا وسياسيا تقدميا ثوريا يؤكد ضرورة الوحدة ويؤكد ضرورةاقامة العدل الاجتماعي والتحرر من التبعية والتخلف. وبدون هذا الاطار القومي، لا تستطيع اي حركة قطرية مهما كان فهمها قوميا ان تقدم شيئا وتجربة اليمن الديمقراطية خير شاهد على ذلك، كما ان تجربة الاحزاب القومية تشهد ايضا. اما المشروع الديني للقومية فيمكن في ظل الظروف المحيطة حاليا ان يمتد لفترة من الزمن، وباحتكاكه في الممارسة مع الواقع سوف ينحت مواقف جديدة ربما تطوره اما اذا بقي على جموده السابق فانه سيدفن ولن يحقق شيئا وتجربة ايران اليوم تقدم شاهدا ايضا.

ان المطلوب ليس اعادة انتاج كاريزما عبد الناصر ولا تكرار تجربته، ولا المطلوب اعادة عجلة التاريخ الى الوراء، بل المطلوب الانسجام مع روح العصر، وضرورات التقدم، وهذا يفرض حوارا جادا وبنيويا التغيير والفعل بين قوى حركة التحرر العربية، يكسر الانكفاء الاقليمي، ويوسع أفاق العمل الثوري العربي، ليضع التضامن الثوري العربي في مواجهة التضامن العربي الرسمي تحت العباءة السعودية وبالتالي تحت خيمة الجنرال شوارسكوف، او تحت قبة البيت الابيض.

فالمطلوب اطار شعبي عربي ديمقراطي ومنفتح على قوى التقدم العالمية، جسور في طرح مهماته وفي ممارسة اشكال نضاله، واثق بالجماهير ومنزرع في اوساطها. بهذا تخرج من الازمة، وبهذا نستطيع الوصول الى اهدافنا في التحرر والتقدم وبناء الامة العربية القومية التي تستطيع ان تخدم الانسانية.

Digitized by Birzeit University Library

قراءة

مع الاستاذ يعقوب الاطرش في مجموعته القصصية «وتستمر الحياة»

خالد البطراوي

(٢)

سابعا: امنيته الصغيرة:

كتبت القصة في ١٩٦٧/١٠/٢٦، اي بعد اشهر معدودة من حرب الايام الستة في العام نفسه.

تتحدث القصة عن بائع جرائد، في الحادية عشرة من عمره، ولد في "نفس الليلة التي بدأ فيها - كما قيل له - العدوان الثلاثي على قناة السويس" (صفحة ٦٨) - لاحظوا هنا الزج بالحدث السياسي - تتولد في داخل هذا الصبي، اثناء بيعه للجرائد، رغبة قتل موشيه ديان. وعلى الرغم من ان الكاتب لم يشر الى ديان صراحه، الا ان الرمز والاشارة كانت واضحة اذ وصف ديان بانه "صورة كبيرة لرأس رجل... بعين واحدة" (صفحة ٦٩).

المهم ان بائع الجرائد واسمه حربي، ينخرط في مشادة مع الجنود، يفر على اثرها هاربا، اما الجندي فقد "تذكر رشاشه... الذي كان يمسك به طيلة الوقت"، (صفحة ٧١) ودوى طلق ناري... واستطاع الصغير ان يتجنبه، بقفزة جانبية سريعة، فلم يصبه... وانما اخترق الجرائد التي يحملها..." (صفحة ٧١).

وعندما تفقد الصغير الصحف وجد ان صورة الرجل وقد "ذهبت الطلقة بعينه الباقية!!" (صفحة ٧٢).

يا للمصادفة، لقد تحققت ظاهريا امنية الصبي، تماما كما يقول سيدي حركش.

"وحلم الصبي زي القمر م يكون بدر ورد وزهر"

اذن تحققت امنية الصبي، وفقأ العين الثانية لوزير "الدفاع"، اراح وارتاح كما يقولون، ما زلنا نسمع لغاية الان مقولة "في البحر راح نرميهم" واذكر انني زرت جناحا ايرانيا في احد معارض المنجزات الاقتصادية، وقد رسم عند مدخل الجناح: على الارضية علم اسرائيل. وشاهدت المترددين يدوسون العلم بعنف وبسرور، ومنهم من داسه اكثر من مرة، وكأنهم يا

Digitized by Birzeit University Library

سلام قد حرروها".

هل يختلف معي القارىء، ويقول ان لا وجود للصدفه في هذه القصة ايضا؟ الم تصب الرصاصه العين الثانية لديان صدفه، الم ينجو صدفه حربي، الذي قفز قفزة جهنمية متفاديا الرصاصه. ليت ال ٩٨٢ شهيدا الذين سقطوا ابان الانتفاضة المجيدة وغيرهم، ليتهم اتقنوا هذه القفزة الجهنمية وتجنبوا الوفاة.

ثامنا: شجرة العيد:

كتبت عام ١٩٧١، ونشرت في صحيفة الشعب بتاريخ ١٩٧٢/١٢/٢٦ وفي مجلة الشراع العدد ٣٥ - السنة الثالثة، كانون ثاني ١٩٨٢.

تتحدث القصة عن طفلة في ربيعها السابع، تستقبل عيد الميلاد هذا العام، دون زينة واضواء، دون شجرة الميلاد. لم تكن هذه الطفلة تدرك سبب حيلولة انتصاب شجرة العيد هذا العام. لم يقم اي من افراد عائلتها بشرح الاسباب، ويسرد لنا الكاتب باسلوب درامي كيف توجهت الصغيرة برفقة عائلتها الى "طفل المذود" وكيف انتزعتها يد غليظة وكيف تناهى على مسمعها رطانة غريبة "افسدت عليها حلاوة تلك اللحظة الخاشعة في ذلك المكان القدس..." (صفحة ٧٨) وعند ذلك، ادركت الصغيرة "ان شجرة العيد - ككل الاماني الحبيسه - لا بد ان تنطلق يوما من عقالها - لتقتص شامخة في مكانها! لتعيد الى بيتهم... والى كل بيت... بهجته وهناءه!!" (صفحة ٧٨).

يلمس في هذا الجانب، انه بعد حرب الايام الستة، طرأ تغير على نمط كتابه الاستاذ يعقوب، الا ان هذا التغير، لم يرتق بمستوى الحدث، وبقي يخاطب عقول القراء، بنفس الاسلوب الذي لا يستند الى رؤيا علميه. اضافة الى ذلك يقوم الاستاذ يعقوب بنقل ما يجول في خاطره - وهو ابن الـ ٣٤ عاما انذاك - على لسان الاطفال، بلغه الكبار وفي ذلك استحالة للمنطق. وعليه فان القصة الثامنة، قد اتت بانعطاف بسيط غير جوهري في اسلوب كتابة الكاتب.

تاسعا: أمل:

كتبت هذه القصة في العام ١٩٧٢، ونشرت بتاريخ ١٩٧٢/٩/٨ في صحيفة الشعب المقدسية. وهي قصة شبيهة الى حد ما بقصة "اخر الشهر"، اذ ان محورها مرتب ضئيل لموظف لقاء التزامات مادية اسرية كبيرة، حيث تتكون اسرته منه ومن زوجته وستة من الابناء والبنات (وهذا ما عرفناه من اول ثلاثة اسطر من القصة). يفكر هذا الموظف القيام بعمل اضافي، وتصطدم رغبته هذه، باصدار قرار حكومي يحظر على الموظفين الرسميين القيام باية اعمال اضافية. ينتقل بنا الكاتب على لسان "بطل" القصة الى خطبه استنكارية "وهل في تلك القوانين ما يدين انسانا وأبا... كل همه في الحياة تامين اسباب الحياه لافراد اسرته؟ وتوفير القوت والكساء والتعليم لهم؟ وهي ابسط متطلبات الحياة... والتي كفلتها كافه دساتير العالم وقوانينه؟!" (صفحة ٨٣).

ثم ينتقل الكاتب يصاحبنا الى عزوفه عن العمل الاضافي بعد سماعه نبأ زياده متوقعه قدرها ٢٠٪ تاتي هذه الزيادة في الشهر الثالث من الاعلان عنها وبنسبه ٨٪ فقط ينهي الكاتب قصته بعودة صاحبها للبحث عن عمل اضافي "وفي نفسه كل الرغبة والتصميم... لان لا يستكين او يهون... بل ان يتحدى ويصمد... لانه يجب ان يحيا ويعيش فوق ارضه... وفي وطنه!.. بينما اخذ يداعب خياله امل جميل... بانها لا بد ان تهون يوما... وان تفرج... مهما طال الانتظار!!!" (صفحة ٨٥).

هنا، يعود بنا الكاتب الى قصص "علم درسا". وقد ذكرت في موقع سابق، ان الاستاذ يعقوب يكتب القصة على ما يبدو من نهايتها، ثم يقوم بنسج التفاصيل والمجريات التي تقود الى هذه النهاية المسبقة الاعداد.

عاشرا: اجازة:

كتبت القصة عام ١٩٧٣، ونشرت في مجلة عبير في العدد الثالث لعام ١٩٨٦. ويبدو ان "عبير" قد نشرتها لانها قصة تدور احداثها حول المرأة، وكيف لا تنشرها "عبير" وهي التي تعنى بشؤون المرأة.

تتحدث القصة عن شخص يشعر على الدوام، بانه هو الكادح، وان زوجته لا تشاركه هموم ومتاعب الحياة. لذا كان تعامله مع زوجته فظا، اذ "لم يكن يخرج عن صمته الا ليبدي استياءه من امر او تبرمه بشيء... ولم يكن يرحمها اذا حدث اي تقصير... اذا وجد احد ازرار قميصه مقطوعا... او حذاءه غير ممسوغ..." (صفحة ٨٩) ثم يعطي الكاتب صوره عكسية لرد فعل المراة - واتصور انه سلبيا للغاية، غير رافض - اذ يقول الكاتب "وكانت هي عاقلة، كانت تستقبل ثورته بسكون... فهي تدرك ان مواجهة الثورة بمثلها ينذر بيت الزوجية بالخطر... وهي تعلم ان هدوءها وصبرها هما صمام الامان لحياتها الزوجية" (صفحة ٨٩).

وكي يصل كاتب القصة، الى مبتغاه، لا بد من صدفة تنقذه، وهنا تدخل الزوجة المستشفى، ويخلو البيت اذ "تنفس الزوج بارتياح، فقد شعر - لاول مرة منذ زواجهما - بأنه حر طليق..." (صفحة ٩٠).

على العموم، انني لا اتصور على الاطلاق، ان ينتاب اي زوج مثل هذا الشعور

Digitized by Birzeit University Library

عند مرض زوجته، حتى لو كانت العلاقة الزوجية بينهما قد وصلت الى حد القطيعة التامة.

ايا كان فلنتابع، عند غياب الزوجة يدرك الزوج مدى وزر الاعباء التي تقوم بها، وتحديدا مسألة رعاية طفلتهما، «وكاد ان يطير من الفرح ... وهو يقود زوجته خارج المستشفى» (صفحة ٩٢). اليس هذا موقفا انتهازيا صرفا، لا تقولوا لي ايها الاعزاء، ان هذه القصص تدخل ضمن قصص «علم درساء.

ان في هذه القصة، حتى تراجعا عن النمط السائد في القصص السابقة، اذ اراد الكاتب لا يطالها ان تحكم علاقاتهم الصفة الانتهازية، اراد الكاتب ان يظهر للذكر مدى علو منزله وكانه الانثى الا انه اخفق في ذلك، اولا لم يطرح الكاتب الانثى متساوية المكانة مع الذكر، اذ ابقاها حبيسة المنزل واعماله، ثانيا لم يظهر الكاتب مدى قناعة الذكر بمنزلة الانثى، الامن منظار حاجته لها للعمل البيتي وليس بوصفها نصف الحياة. ولا اريد الخوض كثيرا في ذلك، فالعديد من كتابنا يملكون نظرة متخلفة ازاء المرأة وكافة القضايا المتعلقة بها.

اذا في القصة تراجعا.

حادي عشر: نهاية الليل:

كتبت هذه القصة عام ١٩٧٥. ونشرت في مجلة "البيادر" الادبي عام ١٩٧٨. القصة تتحدث عن سيدة وصلتها برقية من محامي زوجها يعلمها بموعد جلسة الاستئناف.

الاستاذ يعقوب يكشف لنا على الدوام، عقدة القصة في الاسطر الخمس الاولى. فالزوج في هذه القصة يقبع في السجن، يقضي حكما بالسجن لمدة عام، رغم انه بريء. وبالمناسبة، يعطي الاستاذ يعقوب الامور لنا جاهزة، الزوج بريء وفقط، وعندما كشف لنا سبب براءته في موقع اخر، كشفه بصورة مقتضبة، فالسبب هو استفغاء الشركة التي يعمل بها "عن بعض عمالها... ممن يعملون تحت امرته، اجراء اداري محض... لم يكن له اي دخل او يد فيه... ولكنه اتهم بانه وراءه... سعوا الى الانتقام... نطق القاضي بالحكم، السجن عاما... حتى يرتدع ويقمر لسانه" (صفحة ٩٨).

يتابع الكاتب رصد انفعالات الزوجة، وتوجهها لاجراء مكالمة هاتفية مع المحامي للاستيضاح. وتستمر القصة في رصد ما يعتمر في داخل الزوجة، الى ان تتوقف سيارة تعود لجارها، يترجل منها في موقف درامي، تماما كالافلام العربية، شخص تنهار الزوجة بين ذراعية "ذراعي زوجها" (صفحة ١٠٢). وينهي الكاتب قصته قائلا على لسان الزوجة "وقد تأكد لديها الان ان الفجر يطلع دائما... مهما طال الليل" (صفحة ١٠٢).

تدعم هذه القصة، صحة مقولتي، بان الكاتب يكتب قصته من نهايتها. على العموم، انني ارى في هذه القصة تراجعا، فالحبكة فيها مبهمة.

ثاني عشر: من السارق؟

كتبت عام ١٩٨٠ وشاركت في المهرجان الوطني الاول للادب الفلسطيني الذي انعقد في مدينة القدس ما بين الخامس عشر والثامن عشر من آب ١٩٨١.

القصة تستعرض خطابا يلقيه متهم في محكمته، تماما على نمط شهادة المناضل البلغاري ديمترف في اطول محاكمة في التاريخ والمناضل السوداني الشفيع اثناء محاكمته - وشتان بينهما -. صاحبنا الذي "لم يتعد بعد الثانية والستين" (صفحة ١٠٥) ينفي التهم الموجهة اليه فهو "لم اسرق، ولم اقترف التهمة المنسوبة الي... صحيح ان يدي قد امتدت الى تلك الكرمة الدانية القطوف..." (صفحة ١٠٦) ويتابع صاحبنا خطبته السياسية" حين ينقلب المجني عليه الى جان"... وحين يتهم المسلوب بالسلب؟!... اي تناقض هذا الذي نعيشها" (صفحة ١٠٦). وتستمر الخطبة السياسية على هذا المنوال، فالعنقود من الكرمه التي يملكها والتي غرسها بيده في بستان داره التي سلبت منه، ثم يختتم الكاتب قصته كالمعتاد متحدثا عما يجول في خاطره "فانا مؤمن ان هذا الحال لن يدوم، وان هذا الليل لن يطول، فالفجر آت لا ريب فيه" (صفحة ١٠٨).

القصة لم تات بجديد، وهي من النمط والوتيرة سالفة الذكر.

ثالث عشر: الابواب المغلقة:

كتبت عام ١٩٨١، وهي قصة طلابية، ضمن قصص «علم درساء. تتحدث عن طالب يقدم امتحان الثانوية العامة، يجلس في قاعة الامتحان «مطلسما» فالطالب مرتبك ولا يستطيع الاجابة على اسئلة الكيمياء، يتقدم منه المراقب، يهون عليه الامور، يستنهضه لغسل وجهه، وعند عودته تحدث المفاجأة، فالاسئلة «تبدو الان اقل صعوبة» (صفحة ١١٥)، ينطلق معها قلم طالبنا «في سهولة ويسر» (صفحة ١١٥) و «الصفحات تمتلىء في تناسب طردي مع مرور الزمن» (صفحة ١١٦).

اذكر انني كنت ذات يوم في جامعة النجاح عند زميلي الاستاذ سامي الكيلاني، رأيت طلبة الجامعة يتقاطرون صوبه يسألونه عن نتائج الامتحان. يسلمهم بالنتيجة، هذا يفاصل، وذاك يسأل «ليش انا ساقط استاذ» فيجيبه سامي «بتسألني انا؟» يجب عليك ابا زويا ان تطلب من الكمال

Digitized by Birzeit University Library

غسل وجوههم.

ينهي الاستاذ يعقوب قصته بالقول «... وكما يجب ان يختفي كل شيء بفيض ... فوق ارضنا الحبيبة!... لاننا يجب ان ننجح ... وان نحيا!!» (صفحة ١١٦).

القصة ايضا حافظت على النمط اياه سالف الذكر، وتدعم مقولتي بان الاستاذ يعقوب يكتب قصص من أخرها.

رابع عشر:السقوط

كتبت عام ١٩٨٢ وشاركت في المهرجان الوطني الثاني للأدب الفلسطيني عام ١٩٨٢. تتحدث القصة عن رحلة عودة «ابو قاسم» من الاردن، اثر تلقيه برقية من الصليب الاحمر، تعلمه بنبأ سقوط ولده «قاسم» من على سطح عمارة حيث يعمل.

كالعادة، في معظم القصص الشبيهة، يتذكر ابو قاسم كل ما يتعلق بولده، باسلوب سردي، اثناء سير السيارة عائدة من الجسر، يقطع حبل افكاره -كما يقولون- حوار يجري بين السائق واحد الركاب ممن تمت اعادتهم عن الجسر. ينتقل الحديث عن منع سفر اهل قرية «ابو قاسم» بسبب مقتل شاب جراء انفجار عبوة ناسفة كان يعدها على ما يبدو. وعندما استفسر «ابو قاسم» عن اسم الشاب، ناوله سائق السيارة صحيفة بها نعي يتضمن صورة الشاب. فاذا هو ولده «قاسم».

تنتهي القصة عند هذه النقطة، وهي تختلف الى حد ما، عن نمط القصص سالفة الاستعراض، الا ان عنصر الصدفة هو الغالب، وعليه لم تأت القصة بجديد.

خامس عشر/ معا ... على الدرب

كتبت عام ١٩٨٤، وقد وصفها الكاتب بانها «محاولة تصورية لاستعادة احداث قديمة، برؤية جديدة» (صفحة ١٢٦) - الصفحة غير مرقمة-.

تبدأ القصة بوصف، سرعان ما ينتقل الى حركة، تعبر عن شخص محاط بأيدي قاسية تقيد حركته بسبب عدم حيازته بطاقة هوية. ثم تتحاور الايدي القاسية فيما بينها حول شخصية المقبوض عليها وماهيتها، ليظهر على حين غرة صوت غير معلوم المصدر يردد بطوبى للودعاء لانهم يرثون الارض ... طوبى لصانعي السلام لانهم ابناء الله يدعون! ...» (صفحة ١٣٠). ثم يقوم الكاتب بسرد ممارسات الاحتلال على لسان اصحاب الايادي القاسية، من هدم للمنازل، عقوبات جماعية، قبضة حديدية، حظر سفر، اقامة جبرية، ابعاد ... الخ. ثم يفلت هذا الشخص بصورة مفاجئة، لتبدأ عملية البحث عنه ومطاردته وصوت فيروز يردد «الغضب الساطع آت» (صفحة ٨٤) و«تمتلىء الشوارع والدروب بالاف الاطفال ... جاؤوا من كل صوب وحدب، يمتشقون بيمناهم كل الارادة والايمان والتصميم ... ويرفعون بيسراهم اغصان الزيتون ... يلوحون بها ... ويهزونها في وجه اعداء السلام ... الذين يحاولون بكل وسيلة ... اخماد جذوة الغضب» (صفحة ١٣٤) وتنتهي القصة بصوت فيروز مجددا «للقدس سلام آت» (صفحة ١٣٤).

الحقيقة، انني لا اعتبرها قصة البتة، وعلى ما يبدو، فان الكاتب يتحرك استجابة لمناسبة معينة، النكبة، العدوان الثلاثي، حرب الـ ٦٧، القبضة الحديدية ... الخ، هذه المناسبة او الحادثة تحرك شيئا في داخل الكاتب، فيمتطي قلمه ليعبر عنه في قصة، فيأتي ذكر المناسبة بصورة عابرة، هشة، وهامشية كما ذكرت سابقا، في هذه «القصة» لمست تراجعا عن الوتيرة سالفة الذكر.

سادس عشر: وتستمر الحياة

هي عنوان المجموعة القصصية، كتبت عام ١٩٨٥. تتحدث عن عائلة اعتقل فيها الاب، وتزمع السلطات في اغلاق المنزل. يصور الكاتب انفعالات الزوجة، التي ينتابها تساؤلات خطابية سياسية، حول العقاب الجماعي، لينهي الكاتب قصته على نمط قصص «علم درساء اذ يقول «ومن جوف الظلم والمرارة ... تشع ابتسامة في العيون الباكية ... وترف على الفم الحزين الراعش ... وكأنها تهزأ بكل ما جرى ... وتتحدى كل ممارسات القهر والظلم! لان الحياة -ورغم كل شيء- يجب ان تستمر (صفحة ١٤٢).

بهذه القصة، التي اختار اسمها الكاتب عنوانا لمجموعته القصصية، يكون قد رسخ النمط التعليمي، كاسلوب مميز للمجموعة، لذلك لم المس في هذه القصة، الا تواصلا واستمرارية للوتيرة اياها.

سابع عشر: الصبي المطلوب

هي القصة الاخيرة في المجموعة القصصية، كتبت عام ١٩٨٧. وكما يقولون «يقرأ المكتوب من عنوانه» فعنوان القصة يفضحها، فهي تتحدث عن مطاردة الجنود لصبي عقب مظاهرة صاخبة. وعند اخفاق الجنود في الامساك بالصبي، يلقون القبض على غيره لارضاء قائد الدورية، لينهي الكاتب القصة بالقول «وفي حين كان هذا الصبي مازال يترنح تحت وطأة المفاجأة والذهول ... ويتلوى تحت ضربات الاحذية الثقيلة واعقاب البنادق، كان صبي آخر -في مكان غير بعيد عنه- ينفض القش من شعره وثيابه» (صفحة ١٥٠).

بالطبع، لقد لمست تغيرا طفيفا في القصة، الا ان طابعها السردي بقي ماثلا، الامر الذي لا يجعل في الحاقها بالمجموعة القصصية اية اضافة نوعية بل كمية.

الى هنا، تنتهي المجموعة القصصية،

Digitized by Birzeit University Library

ونقرأ ان للكاتب «تحت الاعداد» مجموعة قصص وحكايات ... منتزعة من صميم الواقع ... في عهد الانتفاضة ... وخلال حملة حصار ومداهمات، استمرت ٤٣ يوما ... على بلدة صغيرة صامدة ... حيث تعرض الكثيرون ... ومن ضمنهم المؤلف ... للاعتقال ... والمداهمة ... وحجز الاموال ... احداث واقعية ... هي اغرب من كل خيال!!؟ (صفحة ١٥٢-صفحة غير مرقمة).

والمقصود هنا بالطبع بلدة بيت ساحور، وهل تخفى على احد؟ كنت في الحقيقة غير راغب في التعقيب، الا ان قصة الكاتب التي نشرتها له مجلة الكاتب في عددها ١٢٩، وحملت عنوان «شيء للتحدي»، كانت من النمط القصصي ذاته الذي استعرضه في قراءتي الحالية، مما جعلني اقل تفاؤلا من ان تحمل المجموعة القصصية «تحت الاعداد» اية نقلة نوعية لتشكل انعطافا حادا عن الوتيرة التي نوهت اليها في قراءتي.

من الضروري الاشارة، الى ان الكاتب يمتلك مخزنا لغويا هائلا، بالاضافة الى تمرسه في علامات الترقيم. غير ان الطابع الغالب في قصصه هو الطابع السردي، اضافة الى انه غير موفق البتة في اختيار اسماء لقصصه.

وحيث، ان الاستاذ يعقوب، قد ذكره في قصته «الابواب المغلقة» عبارة «والصفحات تمتلىء في تناسب طردي مع مرور الزمن» (صفحة ١١٦) فانني -بوصفي مهندسا- ارغب في توضيح قراءتي برسم بياني كما هو مبين:

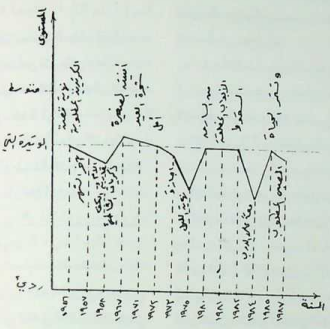

للحصر-

١- صمت كثير يجثم على صدره ... كصمت القبور (صفحة ١٣).

٢- لتقربهم العيون (صفحة ١٤)

٣- وجن جنون الاب (صفحة ١٥)

٤- وتذكر حينئذ كيف مادت الدنيا ... امام ناظره ... حالكة قاتمة (صفحة ١٦)

٥- متهدلة الشعر (صفحة ٢٢)

٦- وكل جارحه فيها تبتسم ... وكل عضو فيها جذل نشوان (صفحة ٢٥)

٧- ومضى يلملم في براعة اطراف الخيوط ... خيوط تلك القصة ... كما كتبتها الايام واخرجها القدر (صفحة ٢٩)

٨- ثقل السنين القاسية (صفحة ٢٩)

٩- لفيفا من الاصدقاء (صفحة ٣١)

١٠- بدأ الشراب يلعب في رأسه (صفحة ٣٢)

١١- رجل ... خبر الحياة (صفحة ٣٢)

١٢- وكان بيتنا صمت ثقيل ... كصمت القبور ... (صفحة ٣٥)

١٣- ذو قلب دافق بالحب والحنان (صفحة ٣٩)

١٤- ذكرى السنين العابرة (صفحة ٥١)

١٥- ضحية الغدر والعدوان (صفحة ٥٢)

١٦- شريعة الغاب (صفحة ٥٢)

١٧- يتحلى به من اخلاق حميدة (صفحة ٥٧)

١٨- تنفس الحضور الصعداء (صفحة ٥٩)

١٩- اربد وجهها ... وندت عنها شهقة مكتومة (صفحة ٥٩)

٢٠- الخطب افظع من الكلمات (صفحة ٦٠)

٢١- فاستنكرت الجريمة الاثمة النكراء (صفحة ٦١)

٢٢- اللحظات الخاشعة (صفحة ٧٨)

٢٣- تنتصب شامخة (صفحة ٧٨)

٢٤- جهابذة الاقتصاد (صفحة ٨٢)

٢٥- كبح جماحه (صفحة ٨٢)

٢٦- ودارت الدنيا امام ناظريه (صفحة ٨٤)

٢٧- ارجو ان يتسع صدرك لسماعها (صفحة ١٠٧)

٢٨- وقد عجز جهابذة الاقتصاد (صفحة ١٢٩)

٢٩- تصرخ كحيوان جريح (صفحة ١٤١)

٣٠- حتى يكون عبرة لمن اعتبر (صفحة ١٤٧)

٣١- حين اعود بخفي حنين (صفحة ١٤٩)

وبعد

اكتفي بهذا القدر من القراءة بصوت مسموع. آملا ان يتسع قلب الاستاذ يعقوب لقارىء في سن اولاده.

للاستاذ يعقوب المحبة كل المحبة والاحترام كل الاحترام.

Digitized by Birzeit University Library

لوركا
شاعر أسبانيا العظيم

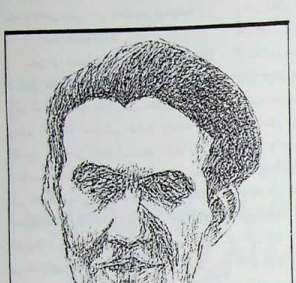

جورج ابراهيم

كانت خيوط الظلام الاولى تتسارع في رسم لوحة غجرية ساحرة على جنبات اروقة تلك البلدة الصغيرة "فوينتي باكيروس" الواقعة على ضفاف نهر شنيل، تلك البلدة التي قدمت الى العالم واحدا من اعظم شعراء القرن العشرين، "فديريكو غارسيا لوركا..." هذا الشاعر الفنان والاديب والفيلسوف الذي لو قدر له ان يعيش اكثر لاصبح واحدا من عباقرة الارض.

كنت مع مجموعة من المسرحيين الفلسطينيين في طريق عودتنا من غرناطة بعد زيارة لقصر الحمراء الشامخ في سماء التاريخ الضارب جذوره في باطن الارض ليسطر اروع ملامح الجمال والفن والخيال. وابت علي مشاعر الحس والجمال تلك الا ان اتوجه بزيارة الى بيت احد اركان الفن والجمال في اسبانيا واعيش فيه لحظات تاريخية اخرى تعيد الى نفسي بعضا من الماضي، ايام كنت التهم المعرفة التهاما واسارع الجهل الثقافي الذي كان يلفني، ايام كنت اتوه واحلم واصاب بالخدر مع كل بيت من الشعر تصوره حدقتاي وتعتصره احشائي، ايام قرأت مرثية "الخامسة مساءا" التي بكى فيها لوركا صديقه الميتادور "كناثيو" الذي صرعه الثور في حلبة الموت، بكى لوركا صديقه الميتادور بكاءا مرا في مرثية تعتبر من اصدق وانضج قصائد الشعر الاسباني.. بكاه وكأنى به كان يبكي نفسه ويقول:

لي الخامسة مساء

كانت الخامسة مساءا بالضبط
وكانت الجروح تحرق كالشمس
عند الخامسة مساء
عند الخامسة مساء
آه ما اشد رعب الخامسة مساء
فاني لا اريد ان اراها
لا اريد ان ارى دم اكناثيو ينطخ الرمل
لا.. لا اريد ان اراها

ولعل من العجيب ومن غرائب الاقدار ان تكون نهاية هذا الشاعر العظيم في نفس الساعة التي بكى فيها صديقه الميتادور "الخامسة مساء" عندما قتل واختفت جثته الى الابد، ولم يعرف مكان دفنه الى يومنا هذا فقد اصبح قبر هذا العبقري "كموته" لغزا حير الالباب لما يكتنفه من الابهام والغموض. والغريب ان لوركا كان قد تنبأ في احدى قصائده بهذا الغموض الذي اكتنف ظروف موته فحجب حتى قبره عن العيون قال:

على افنان شجر الغار
تمشي حمامتان دكناوان
احداهما كانت الشمس
والاخرى كانت القمر
قلت لهما: ايتها الجيوريتان
اين يوجد ضريحي؟
قالت الشمس: في ذنبي
وقالت "القمر": في حنجرتي

اجل لقد اختفى قبر لوركا وادعته الحمامتان في صورتي الشمس والقمر اشتهت كل منهما - على حدة - ان تكون قبرا لفديريكو غارسيا لوركا.

وكان ان وصلت بنا الحافلة الى بوابة البيت الرئيسية، وتوقفت، وتوقف معها شريط الذكريات وبدأت العيون تبحث هنا وهناك والقلوب تتسارع شوقا للدخول الى هذا المحراب الذي جعلت منه الحكومة الاسبانية متحفا ومزارا لحجاج الفن من جميع اقطار الدنيا. هبطنا من الحافلة وقد لفنا الصمت ودثرنا احساس بالرهبة، وتهادت الى مسامعنا انغام قيثارة كانت تخرج من داخل البيت، حملتني قليلا الى الوراء فتذكرت بيتا من الشعر كان يتغنى

Digitized by Birzeit University Library

به لوركا في ايام شبابه ويقول:

واذا ما القضي نحبي فادفنوني مع قيثارة

تحت اكوام الرمال

غير ان امنية هذا الشاعر الموسيقار لم تتحقق فقد قتل هو وثلاثة من الثوار في ذلك الوقت داخل حقل من حقول الزيتون ودفن الاربعة معا في حفرة واحدة في التاسع عشر من شهر آب عام ١٩٣٦ "في الخامسة مساء" وكانت تلك الحفرة واحدة من مئات الحفر التي تم فيها دفن ضحايا الحرب الاهلية الاسبانية والتي لم تتح الفرصة لاحد في التعرف الى ساكنيها حتى يومنا هذا.

تقدمنا من بوابة البيت وقرعنا الجرس... وما هي الا لحظات حتى اطل علينا شاب في ربيع العمر تحدث الينا بجمل قصيرة واشار الى لائحة قد علقت على البوابة ثم عاد واختفى داخل البيت وتركنا مع تلك اللائحة التي كانت مزخرفة بالانظمة والقوانين الخاصة بالزيارة واهمها المحافظة على الهدوء والسكينة، عدم التدخين، عدم لمس الاشياء، ثم الاهم من هذا كله شراء تذاكر للدخول.

وما هي الا لحظات اخرى حتى عاد الينا ذلك الشاب حاملا معه اوراق وبطاقات وصور، فكان ان دفعنا ثمن بطاقات الدخول واندفعنا وراءه يقودنا الى داخل البيت ويشرح لنا بلغة فرنسية ركيكة مطعمة ببعض الجمل باللغة الانجليزية والباقي بالاسبانية، واذا ما تعذر الفهم فبالاشارة.

وهكذا تنقلنا من زاوية الى زاوية ومن غرفة الى اخرى نشاهد وندهش ونسأل ونبتسم ونحزن ونختزن المعلومات.. فهنا على هذا السرير الخشبي الواسع ولد لوركا، وهناك على ذلك المذود الصغير كان ينام، ومع هذا الحصان الخشبي كان يلهو صغيرا، وهنا على هذه المنضدة كتب اجمل القصائد والمسرحيات ومن خلال اصابع ذلك "البيانو" اخرج الى العالم اجمل الالحان، وعلى انغام تلك القيثارة رقصت "مرغريتا شيركو" "ممثلة اسبانيا الاولى في ذلك الوقت"، وهنا في هذه القاعة الصغيرة كان يقرأ لزملائه الشعراء والممثلين ما كان يكتب.. من هذا البيت الريفي الصغير خرجت الى العالم اعظم القصائد، واجمل الالحان، واعمق المسرحيات الاسبانية، واذا نظرنا الى تلك الزاوية... هناك... نستطيع ان نتبين مخطوطة" قديمة علقت بحرص كبير داخل اطار جميل كتب في داخلها ابيات من الشعر تغنى بها لوركا على ضفاف نهر "هدسن" وهو يتأمل الطبيعة ويحلق في اجواء الخيال بجناحين لا يملان الخفقان.. وقف على ضفاف النهر وقال:

آها على عنقي حديث العهد بالذبح

آها على نهري العظيم

آها على نسيمي ذي الحدود التي ليست لي

آها على حافة حبي، على الحافة الجارحة

وفي مخطوطة اخرى على حائط آخر يقول لوركا يصف مدينة نيويورك التي لا تنام:

لا احد ينام في السماء.. لا احد.. لا احد..

لا احد ينام

لا احد ينام في العالم.. لا احد.. لا احد..

لا احد ينام

ليست الحياة حلما.. يقظة.. يقظة.. يقظة

نسقط صرعى السلالم كي نطعم الارض المخضلة

او نصعد حافة الثلج مع جوق زهور الدالية الميتة

لكن لا سهو، ولا نعاس

واذا ما احد اغمض عينيه

فاجلدوه - ايتاني - اجلدوه

يصل الصبح ولا احد يستلمه بلمه

لانه هناك لا يوجد صباح ولا امل محتمل

انه مدفون بين السلاسل والضجيج

وانا اريد حريتي، حبي للبشرية

اريد البكاء حسب مبتغاتي

كما يبكي اطفال المصطبة الاخيرة

لاني لست رجلا ولا شاعرا ولا ورقة

ولكني نبض جريح يسبر غور العالم الاخر

اريد ان ابكي لاعبر عن حقيقتي

اريد ان ابكي اريد ان ابكي

وعلى حائط آخر علقت نماذج من اعلانات مسرحياته الخالدة واهمها "ثلاثية الرائعة" وهي ثلاثية عجيبة حقا فقد الفها في فترات مختلفة متفاوتة لكنها متعاقبة، فأولى الثلاثية هي "عرس الدم" التي الفها في اوائل عام ١٩٣٣ وثانيتها "يرما" الفها بعد ذلك بسنة وثالثتها "دار برنارد اليا" الفها سنة موته.

ان هذه الثلاثية تمثل في مجموعها ازمة عاشها الشعب الاسباني في حياة الكاتب المسرحي لوركا، وما يزال يعيشها بعد موته، بل هي مأساة يعيشها الناس في كل قطر وفي كل وقت وحين، انها مأساة الانسانية المتمثلة في هذه الدماء التي تهرق في كل زمان ومكان، في هذه الافراح المزموجة بالاتراح، في هذه الاعراس الدموية.

ان هذا التناقض بين تصرفات الناس قديم قدم الانسان، قدم اولئك العديدين الذين لاحظوه وراقبوه على مر الزمان، ومنهم الشاعر العربي "ابو العلاء المعري" الذي قال:

وشبيه صوت النعي اذا قيس بصوت البشير في كل ناد

ابكت تلكم الحمامة ام غنت على فرع غصنها الميادِ

واذا لم يمر العرس بسلام... واذا تخللت افراحه كوارث ومصائب وسفك دماء.. واذا اصبحت الحياة - تبعا لذلك - عقيمة مثل "يرما" فهي لا تنتج لان الدار - دار برنارد اليا - اصبحت خاوية على عروشها او كالخاوية. وما دار "برنارد اليا" الا عبارة عن هذا القطر او ذاك ان لم تكن هي هذا الكوكب الارضي الذي نسكنه والذي نحن

Digitized by Birzeit University Library

فيه سجناء نتوق الى يوم الخلاص المشرق الذي نرحل فيه الى عالم اوسع والى دار اكثر خصوبة وحيوية ونشاط.. ولعل هذه الفكرة هي التي كانت تسيطر على اديبنا لوركا فرأيناه يجعل الموت دائما نصب عينيه، ووجدناه يتحدث عن موته وعن قبره وعن مميزه، واحسسنا به وهو يرثي بعض اصدقائه كانما كان يرثي نفسه هو وكان يلخص الحياة بكلمات ثلاث هي: الضياع ثم الضياع ثم الضياع.

وفي نشرة صغيرة باللغة الاسبانية وزعت علينا هناك كتب فيها: ان عظمة هذا الكاتب الشاعر الرسام الموسيقار الفيلسوف الذي يتحدث عن الطبيعة والحياة والموت والحب الغامض وغير الغامض.. عظمة نالها اثناء حياته القصيرة، ولو امتدت به الحياة وطال عمره سنوات اخرى، لازداد عظمة فوق عظمة ولملأ الدنيا نتاجا في مختلف ميادين الشعر والرسم والموسيقى والمسرحية وما الى ذلك مما خلفته عبقريته، او كان في امكانها ان تخلفه، والمؤكد هو ان اسبانيا خسرت في هذا الرجل العظيم وخسر معها الادب والفن مما رجالا عظماء بعدد مواهب فيدريكو غارسيا لوركا، بل نستطيع القول بدون مبالغة او تحفظ: ان موت هذا الرجل العظيم في مثل سنه المبكرة، كان خسارة عظمى للفكر الانساني وللبشرية جمعاء.

وهنا بلغ بنا المطاف الى نهايته بعد ان كنا قد عشنا مع لوركا وذكرياته واشعاره وموسيقاه لحظات ما زالت تعاودني بين الحين والاخر، وما زالت تطن في راسي بعض من كلماته وبعض من فلسفته في الحياة: "ان العالم كله مسرح كبير، يتضمن احداثا وممثلين ومتفرجين، هؤلاء كلهم في حركة وتغير مستمر، الا خشبة المسرح فهي اكثر منهم ثباتا، ولكن الى حين.

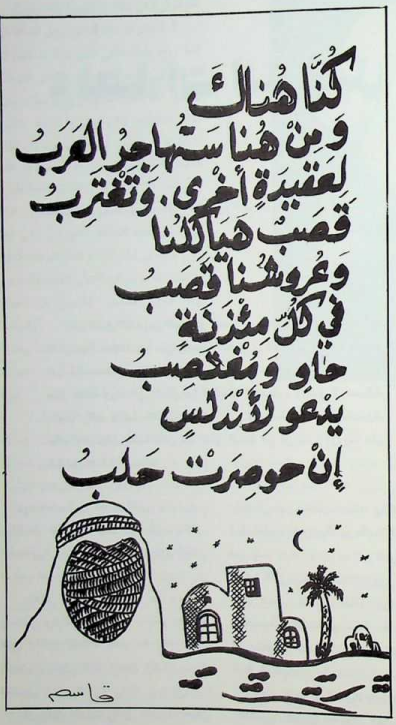

Digitized by Birzeit University Library

"نبيل عناني"

وفضاءات التشكيل

ابراهيم المزين

ان شكل التعبير لدى اي انسان، يحمل وبوضوح النزعة الافرادية، هكذا بدأ من العصر الحجري القديم، وهكذا استمر الى يومنا هذا، وكان من المهم دائما - حسب اعتقادي - تناول من يقف وراء اي شكل من اشكال التعبير، وبصورة عميقة، حيث انه كلما تعمقنا اكثر في (دراسة) هذه الشخصية، واستوعبناها، كلما كان لنا اكثر الحظ في ان نضع ايدينا على مكنونات هذا العمل.

وعندما يكون العمل الفني عبارة عن حلقة من حلقات السلسلة التي بدورها تشكل الفلسفة والرؤيا الحياتية للفنان يكون الفنان قد لعب الدور الذي اراد.

والفنان بقدر ما يحمل من مخزون وجداني وتراثي، ومختلف عناصر الثقافة التي تشكل ثقافته، بقدر ما يفجر هذه المخزونات على شكل اعمال تكون وسيلة للتعبير.

ان طول الوقت الذي يمضيه الفنان نبيل عناني في مرسمه (الاتيليه)، وتنوع الخامات التي يستخدمها في العمل على طول السنوات الطويلة القصيرة في الحقل الفني، دفعه الى فهم امكانات ادواته، وشكل عنده ذوق فني، ورؤيا فنية غير مألوفة للكثيرين من ابناء جيله، وادى به الى الخروج عن الدائرة التي يدور فيها الكثيرون، هذا في اطار العامل الذاتي، اضافة الى ظروف موضوعية، ساهمت في تشكل هذه الرؤيا التي بدورها قد انعكست في العديد من اعمال الفنانين.

وعلى اعتبار ان الحديث يدور عن نبيل (الانسان، الفنان)، فنبيل يكره العادي (المالوف) في اطار العمل الفني، وان ما يدفعني الى الاعتقاد بذلك هو ما قد عايشته من خلال سلوكه الحياتي، الذي لا ينفصل عن سلوكه كفنان، وهذا ما ادى به (مرة اخرى) الى الخروج من الدائرة التي رسمت للكثير من الفنانين، ولكي اوضح اكثر لا بد من ذكر حقيقتين هامتين لدى الفنان في اطار الوعي الجمالي.. الاولى المخزون الثقافي، الذي تشكل عن طريق التراث والحياة المعاشة عبر مرورها من المصفي (الفلتر) الوجداني، والثانية المشاهدة، وتمرين العين، وتفاعل الاولى مع الثانية من خلال تفجيرها في شكل تعبيري، ليوضح لنا مدى القدرة على مخاطبة الصور المختلفة من مادية وذهنية، واستحضارها لدى المتلقي.

نبيل عناني وبناء العمل الفني:

للكتابة عن العمل الفني يلزمنا كما يقول (كروتشه) استحضار حالة اللاوعي التي كان يعيشها الفنان عند قيامه (بالفعل الفني).. وساحاول قدر الاستطاعة، استحضار هذه الحالة مع حالة الوعي، كي نصل الى لب العمل الفني.

عند النظر الى اعمال الفنان نبيل، نلحظ ان هناك جدية في اعادة ترتيب البيئة (الطبيعية للانسان) اي اعادة خلق وصياغة للصور المادية الموجودة من جهة، وتحوير في (الشخوص) لتتناسب مع طبيعة هذا الخلق الجديد، وكمثل اي عملية ابداعية، التي هي عبارة عن التقاء صور مادية وصور ذهنية تتلاءم بالتالي، وتترجم عملية التقاء الوعي باللاوعي في اطار نفس العملية.

الشخوص والكائنات:

* لقد جرى على مدى عمر الفنان الفني تحوير في هذا الجانب من العمل الفني غير ان التحوير وتطوير (الشخوص) جاء

Digitized by Birzeit University Library

الفنان نبيل عناني

مريحا، يعكس قيم جمالية رفيعة واعتقد بان هذا قد ادى الى ان يرتاح الجمهور لاعمال الفنان رغم التحريف الجاري في الشخوص لانه لم يخرج، ولا باي حال عن الصور المادية عند المتلقي لهذه (الشخوص) وبذلك يبرر له هذا التحوير.

* الشخوص لدى نبيل عناني تاخذ في جميع اعماله شكل المنحنى او (القوس)، وذلك بتاثير واضح من العمارة الاسلامية، وهو ما يعطي ايحاء بالحنان والدفء في قلب المتلقي، ولكي يؤكد على هذا الاحساس يكون مركز السيادة في العمل (والشخوص) غالبا امراة، على اعتبارها رمز الحنان وتفرها في الغالب كالام، ويزيد هذا الاحساس عندنا عندما نشاهد ان (الشخوص) المصاحبة تكون في حضن الام وهي تحنو عليها، ونجد في عيون تلك (الشخوص) النظرات الشاردة التي تستحضر الصور في نفس المتلقي ان تكون الامين مصوبة نحو المتلقي (وشاردة).

* في الغالب تكون الشخوص عند نبيل مسطحة اسوة بمجمل العمل، ويرجع ذلك الى حب الفنان في اخراج المتلقي من عالمه المادي والى ذكاء في اخراجه، من التعامل مع كتل مادية للانسان لها وزن وحجم..الخ. وجعله يتعامل مع عالم جديد موجود في اللوحة، وكانه يريد لنا ان نعيش عالمه الروحي والوجداني... على هذا اشتملت وبشكل خطير (اعمال قدماء المصريين) في بناء (الشخوص)، ولا اعرف ان كان نبيل قد اخذ (روح) الاعمال المصرية في هذا الاطار، ووظفها في قالبه الخاص به، اقول روح الفكرة التي كان يرمز لها (الفن الفرعوني) في اطار تسطيح (الشخوص).

* الشخوص عند الفنان نبيل اضافة الى انها روح عمله الفني فهي تشارك مشاركة فاعلة على اعتبارها وحدة بناء في اللوحة، بمعنى اننا نجد الشخوص عند نبيل، وفي اطار التقطيع (الموسيقي) للوحة تكون اضافة الى ما تقدم وحدة زخرفية في اطار النسيج المتكامل للوحة، وللاستدلال على ذلك نجد ان (شخوص) الفنان دائما بدون اقدام تقف عليها، فمجيء هذه (الحلول) عند نبيل على هذه الشاكلة ناتج عن وعي بما يقدم عليه في اطار البناء العام للوحة، اذ ان الكائنات الاخرى في العمل تلزمه بالخروج بهذا الحل، فالحس الشعبي في عمله (الزخرفة)، (التعويذات)، (والرموز الشعبية) - وهذا ما سنتكلم عنه فيما بعد - دفع الفنان الى بناء هذه الشخوص، وبهذه الكيفية وعلى هذه الشاكلة لتكون اخيرا وحدة في النسيج الموسيقي المتكامل.

ان لفظة موسيقى هنا بالذات جاءت لتعبر عن التكوينات التجريدية الى حد ما من اعماله، فالمربعات والمستطيلات اللونية وسكونها كخلفية للزمان وهو هنا (الحركة) في الزخرفة والعناصر الشعبية الاخرى وتكون بذلك الموسيقى التي نشعر بها اثناء تلقي اعماله.

الالوان:

اضافة الى القدرة الاكاديمية، والصنعة المتوفرة لدى الفنان في اللون نلاحظ ان هناك تكنيك فريد في استعمال اللون قد لا نجده عند غيره، وارى انه قد استفاد الى حد بعيد من الحس الشعبي في استعمال الالوان فالحس الشعبي اوجد نوعا من التباين

Digitized by Birzeit University Library

الوجداني وهذا ما نراه فعلا عند نبيل، (فالازرق) لون بارد والاحمر لون ساخن ووضعهما جنبا الى جنب لا يحدث تباين لوني اطلاقا بقدر ما يحدثه من تباين وجداني، كذلك نلاحظ بمقدار محسوب تلك الحيادية في اللون الاسود والابيض تلك الحيادية غير مصطنعة والتي غالبا ما تشكل عامل التدخل المريح في العلاقات اللونية الاخرى بين الاصفر والاخضر مثلا، وتؤلف تلك الموسيقى المنبعثة في اللوحة احيانا ادى ان هناك تدخل ووجداني مرجعه عدم الاكتفاء بالملمس اللوني الذي يحدثه لون معين على لوحته يدفع الفنان الى (قشط) بعض الاجزاء اللونية في اللوحة لتحدث بذلك تاثيرات لونية وملمس غريبين وفي نفس الوقت تكون خادمة للعمل الفني... حقا ان اعمال نبيل تحتوي على ذلك الحس الشعبي الرفيع في استعماله للالوان، فيحدث فينا تلك الدراما الغريبة. واذا ما سرنا مع كل ذبذبة من ذبذبات الفنان حين نعيش تلك (القصدية) وهي تلك الحالة التي تكون في اطار التذوق الجمالي حالة التقمص (تقمص دور الفنان اثناء عملية تلقينا لعمله الفني واي عمل اخر).

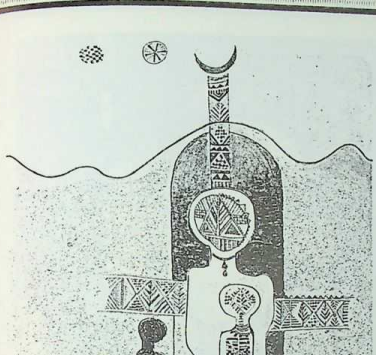

نبيل عنائي «الخروج الى النور» حناء على الجلد
Nabil Anani "*Passage to Light*" Henna Dye on Leather

مرحلة جديدة:

حتى نشعر باننا قد اوفينا نبيل حقه الى حد ما لا بد لنا من الاشارة الى المنقلات والمراحل التي مر بها هذا الفنان على اعتبار ان ما تقدم ليس الا نقطة ضوء سلطت على بعض اعماله الزيتية، واتت مرحلة جديدة الا وهي ادخاله الجلد كعنصر اساسي في بناء اللوحة او انه المادة التي يُجري العمل الفني عليها مستفيدا من البعد الوجداني للخامة وامكانياتها وجاذبيتها الجمالية هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى كانت احدى الالات والتي يعزف عليها الفنان حاليا، وهنا يحضرني قول الفنان عن هذه المرحلة: (منذ فترة تزيد عن الخمس سنوات يعاودني شعور دفين بضرورة العودة الى الطبيعة، والتخلص من التبعية التقليدية لما هو كائن في الشكل واللون والخامة، ومما ساعدني في تنفيذ هذه الفكرة الظروف السياسية والاقتصادية التي نعيشها يوميا وما تطلب منا من مقاطعة ما هو غير فلسطيني بالاضافة الى مؤثرات اخرى هو اعجابي (بالفنون الشرقية القديمة).

اذا ما استعمنا الى احدى سمفونيات (بتهوفن) مثلا ذلك الفنان العظيم وغيره من الموسيقيين المشهورين نشعر ان هناك وحدات او جمل موسيقية تتكرر، هذا على سبيل الشعور الاول، ولكن اذا ما ارهفنا السمع نجد ان هذا ليس صحيحا البته اذ ان هذا التشابه الذي نتخيلة بداءة ما ينفك الا ان يتحول الى توالد عجيب، وحدة من جملة، وتكون الوحدة جملة جديدة تتوالد فيها وحدات جديدة وهكذا حوار غير عادي بين الالات.

هذا الاحساس في الشبه الذي لا ادري ان كان موفقا انتابني عند تمعني جيدا في اعمال نبيل، فقد يحس البعض في ان نبيل لم يفعل شيئا سوى استبدال الخامة وخرقا من ان يدور الحديث عن الخامة الجديدة التي يتعامل معها على اهميتها وتنس الجوانب الاخرى في هذه المرحلة لا بد لي من ذكر مايلي:

لقد شكلت طبعا خامة الجلد لدى شعوب الشرق الاداة التي تم التعبير من خلالها، ولا يزال فكانت (الورقة للكتابة، واللوحة والالة للعزف والى ما ذلك من اشكال تعبير على مر العصور، لتشكل فيما بعد مخزونا وجدانيا كخامة لدى الانسان الشرقي اذ يشعر بالعاطلة تجاه تلك الخامة

Digitized by Birzeit University Library

وبخاصة لدى الشعوب العربية الاسلامية كيف لا وهي الخامة التي سجل عليها بداية (القرآن الكريم).

وجاء استخدام نبيل ليعكس وبذكاء الفنان في وجهته التطويرية الافرادية ولا نقل في انه كان سباقا الى استعمال تلك الخامة في مجال الرسم عليها ايضا فهناك من سبقه الى ذلك، ولكن ما نسجله له انه الى مواد (تزكل) (كالشاي، العصفر، والكمون) وذلك يعكس الجهد الذي بذله الفنان في (النبش) في امكانات الخامة اضف الى ذلك تخلص الفنان من الشكل التقليدي للاطار (اطار اللوحة) (المربع، المستطيل).

فتتجلى ملامح المرحلة الجديدة حصرا فيما يلي:

التقليدي للاطار، وكانت تشكل هذه العناصر الجديدة والزخارف جزءا من بناء الشخوص لديه في هذه المرحلة.

وبذلك يكون نبيل قد حقق العديد من الانجازات في اطار الاشكاليات الابداعية بشمولية التعامل مع التراث بابعاده (الاسلامية، العربية، الفلسطينية).

والتجريد الحاصل في الشخوص، من

لنرى زاوية جديدة في التعامل مع هذه الخامة متفهما لامكانياتها، هذا من جهة، ومن جهة اخرى ان كائنات نبيل وشخوصه وبكيفية التطوير الذي احدثه عليها اتى ليتلائم مع الافتتاح الجديد له ليس ذلك وحسب، بل واختيار الالوان الواجب التعامل معها على تلك الخامة من اصباغ تعداه احيانا

* زيادة التجريد في الشخوص عله يقترب اكثر مما يريد في اطار علاقته مع التراث المخزون لديه.

* ادخال الكائنات والعناصر المستخدمة باعماله الزيتية بطريقة جديدة تتلائم مع روح الخامة وايضا في اطار التوظيف الجديد على اعتبار نسفه للشكل

الناحية الاخرى كان مبررا لتحطيم المفاهيم الكلاسيكية عنده للفنون - كفن بصرى، وفن زماني وفن سمعي... الخ.

وبذلك اشتملت روحه على مفاهيم العصر وهذا احد اهداف الفن التجريدي ولكن دون ايما تغريب في العمل الفني محافظا بذلك على ما ذكرنا سلفا الخاصية الشرقية

Digitized by Birzeit University Library

وابعد من ذلك على اعتبار البعد الوجداني للخامة كما ذكرنا ايضا.

ويظل النقاش على اشده ما هي وظيفة الفن، وما هو المراد تحقيقه من ذلك كله، فقد قيل ان هدف الفن المتعة، وان الفن غاية بدون غاية اي الفن للفن وقيل وقيل... الخ. ويقال حديثا جدا لا بد للفن من ان يثير الصدمة او الاسئلة ولا تنتهي التعريفات ولن تنتهي.

وبعد ما الذي يريده نبيل وما هي الرؤية المتوفرة لديه والفلسفة التي يطرحها؟ لا اعتقد بان هذا السؤال يجب ان يوجه للفنان بعد ما رسم ما قد رسم، ولكن تعالوا نتحسس الجوانب الفلسفية والرؤية الموجودة لدى الفنان من خلال اعماله منطلقين مما قد تقدم من شرح لشخوصه والوانه وكائناته وبنية عمله.

ولنجيب على السؤال اعلاه لا بد لنا من حسم بعض القضايا تجاوزا التي تشغل بال اي فنان وحسبي هنا انني ساتكلم عن قضية ارى من خلالها الزاوية التي يمكن من خلالها فهم ما يرمي اليه نبيل وهي علاقة الماضي بالحاضر بالمستقبل، والواقع والرمز وذلك ياتي في الاطار الفلسفي للفن. لقد قال نبيل: (انني احاول ان اخلق مزيجا من القديم والحديث ينقلنا من الماضي الى الحاضر والمستقبل). ونتوقف هنا عند هذه الكلمات والتي تحمل في طياتها الهاجس الذي يشغل ليس نبيل وحسب بل والعديد من الفنانين على اعتبار ان الانسان بشكل عام، والفنان خاصة له موروثة الحضاري الذي يبرز على شكل تراثي وله نصيبه من المشاركة في الهم البشري وروح عصره واخيرا هاذا يريد ان يقول ويترك للاجيال والمجتمع من حوله ومن بعده على اعتبار انه ضمير المجتمع هذا بشكل عام اما عن نبيل عنائي... فلا نحتاج الى جهد في رصد الجانب التراثي من اعماله فقد ذهب نبيل وبشكل كبير الى تناول الرموز التراثية وابرازها شكليا وليس ذلك وحسب بل وتعداه الى وضعها في قالب متجدد ومتغير، فقد اخذ روح هذا التراث وزوجه بشكل شرعي مع عناصر ايدعها بداية من تعامله الزيتي مع كل هذه القضايا انتهاء بخامة الجد، وبعدها الذي تحدثنا عنه، فكانت تلك الشخوص المبنية بشكل جيد من منحنيات تنتهي بزخرفات في لحظات اراد لها الفنان وتسكن عند تعويذة من التعويذات الشعبية، ولكن في اطار واقع وعالم جديدين لها مع عدم تغريبها فها هي شخوصة التي تحمل كل هذا البعد التراثي تقف على ابواب قرى فلسطينية حزينة يحرك احيانا في اطار هذا المعنى تلك التعويذات والزخارف والرموز لتخدم مضامين حياتيه معاشة وتجيء بعد ذلك رؤيته للمستقبل والتي في اعماله الزيتية جاء التعبير عنها من خلال عيون تلك الشخوص وحركتها عن طريق تلك الدلالات وخطوط المسار للمنحنيات وانبعاثها والتقائها من نقاط الى نقاط بطريقة عاطفية وبموسيقى غريبة تبعث على التفاؤل في القالب (المزجي) بين الماضي والحاضر والرؤية المستقبلية، اضف الى ذلك كله (الجو) الاجتماعي للشخوص داخل اللوحة والخلفية البيئية تعكس وبدون ادنى شك شكل من اشكال التميز الحضاري والتراثي عند الانسان العربي الفلسطيني، فالواقع على مرارته يكون ذلك الظرف الموضوعي يتناوله فنان كنبيل وفي اطار الحاضر يشكل له صوره الذهنية لتكون بمثابة الرمز الذي ياتي غالبا على شكل حلم على سبيل حل اشكالية الصراع والتفاعل الداخلي للفنان ويكون عالما جديدا تشكل في اطار لوحه زيتية باجحام مادية معنية واحيانا اخرى بلا اطار فهذه الشخوص تواجهك وبكل تجديديتها مباشرة ولا تطل عليك من اطار، حاملة في داخلها حكاياتها، حكاية كل الناس التي رويت، والمحكية والتي ستحكى عن مرحلة زمنية تكون في حساب الغد الاتي ثمرات مرحلة من مراحل شعب وهي اليوم تلك الخاصية القومية في عملية الابداع او الذي اريد لها ان تكون كذلك، وبذلك يكون نبيل قد تحرك بمقبول ما من الخطى باتجاه وصل ومحاولة وصل وتواصل مع التراث.

١٩٩١/٤/١٠

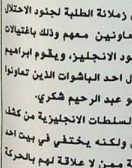

في بيتنا رجل

عرض التلفزيون الاردني مؤخرا حلقات المسلسل التلفزيوني الوطني "في بيتنا رجل" والمأخوذ عن قصة الكاتب الكبير احسان عبد القدوس ومن اخراج ابراهيم الصحن.

يتناول المسلسل الدرامي قصة كفاح الشعب المصري خلال الاستعمار البريطاني لمصر، وتدور احداث المسلسل حول الطالب الجامعي ابراهيم حمدي الذي تتصدى ومجموعة من زملاة الطلبة لجنود الاحتلال والخونة المتعاونين معهم وذلك باغتيالات متلاحقة لجنود الانجليز، ويقوم ابراهيم حمدي باغتيال احد الباشوات الذين تعاونوا مع الانجليز وهو عبد الرحيم شكري.

وتتمكن السلطات الانجليزية من كشف هوية الفاعل ولكنه يختفي في بيت احد زملائه الطلبة ممن لا علاقة لهم بالحركة الوطنية وتتلاحق الاحداث ويتعرف الى شقيقة زميله الفتاة المصرية الشجاعة والتي تصبح همزة الوصل بين حمدي المختبيء في بيت اهل صديقه وزملائه المناضلين لمتابعة اليهم اخباره وتنقل له "حمدي" اخبار جماعته.

من الجدير ذكره ان قصة الكاتب الكبير احسان عبد القدوس "في بيتنا رجل" قد انتجت سينمائيا قبل اكثر من ثلاثين عاما ولاقت اقبالا جماهيريا كبيرا في الاقطار العربية.

Digitized by Birzeit University Library

المسرح في اسرائيل

انطون شلحت

المسرح العربي

اذا ما شئنا اختصار المواصفات نستطيع القول ان المسرح العربي في اسرائيل، بعناصره المتكاملة، لا يزال في بداية البداية.

وعندما اقول عناصر المسرح المتكاملة فانني اقصد حصرا تلك العناصر الاساسية الثلاثة التي يتفق النقاد على ان الحدث المسرحي انما يتحقق من اجتماعها وانصهارها.

وهذه العناصر هي:

١- النص الذي تتوفر فيه المواصفات الدرامية.

٢- التقنية (اخراج، هندسة، اضاءة..الخ).

٣- الجمهور الواعي.

وهذه العناصر الثلاثة مجتمعة تشكل بدورها عاملا هاما لا يمكن الاستغناء عنه في عملية ابداع المسرحيات وتكوين الفرق المسرحية.

اذا تعمقنا المساءلة حول الاسباب الحقيقية لواقع كون المسرح العربي في اسرائيل لا يزال في طور بداية البداية فانه بمقدورنا تخصيص سببين رئيسين متصلين مبنى ومعنى:

الاول: السبب الذي اشار اليه احد النقاد، بحق، وهو غياب جذور المسرح في الثقافة العربية فهو وافد الينا من الغرب. ولا يغير من هذه الحقيقة ان بعض الدارسين رأى في "خيال الظل" و "الاراجوز" اشكالا مسرحية عربية بدائية. ومن هنا - حسبما يتابع ذلك الناقد نجد ان حركة الشعر الحديث في الوطن العربي كانت اكثر الفنون الادبية تبلورا لما يدعمها من تراث شعري عريق. وينطبق الامر، تمام الانطباق، على واقع الحركة الثقافية لجماهير الفلسطينيين في اسرائيل، حيث كان للشعر والشعر الشعبي السبق في مضمار الرسوخ والانتشار.

الثاني: من المعروف ان جماهير الفلسطينيين في اسرائيل تعرضت منذ النكبة الكبرى في ١٩٤٨ ولا تزال تتعرض لمحاولات محمومة من جانب المحافل الاسرائيلية الحاكمة ترمي الى مسح الهوية والتراث الفلسطيني عن هذه الجماهير.

وبالانطلاق من هذا فان مختلف المبادرات من جانب الفلسطينيين في اسرائيل للنشاط المسرحي ليس فقط لا تتلقى الدعم الرسمي وانما تكون عرضة لقمع الاوساط الرسمية، التي تدرك خطورة المسرح باعتباره اداة تبدع الانسان عندما تمثله وهو ما حدا بشيلار الى القول ان "المسرحية الاغريقية كونت وانشأت الانسان الاغريقي".

وقبل عدة سنوات قال شاعرنا توفيق زياد ان الاوساط (الاسرائيلية) الحاكمة واصحاب سياسة الاضطهاد القومي ينظرون بقلق وعدم رضا الى كل خطوة يقطعها المثقفون العرب في اسرائيل وذلك اثباتا لنظريتهم القائلة ان العرب شعب قاصر فكريا.

والجانب الاكثر اثارة في الموقف الرسمي من نشاط الفلسطينيين في مجال المسرح يتمثل في قيام الرقابة الاسرائيلية بمنع العديد من المسرحيات العربية والتي لم تسمح بعرضها في حينه. من هذه المسرحيات: "اغنية مشوه حرب من الوحدة أ" و "رجال في الشمس" (عن رواية الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني) - مسرحها واخرجها رياض مصاروة، وقدمتها فرقة مسرح بيت الصداقة الناصرة. "المستنقع" (تاليف: سلمان ناطور، اخراج رياض مصاروة، تمثيل غسان عباس).

"محجوب محجوب" (لفرقة "الحكواتي" المقدسية). "السلام المفقود" (تاليف: راضي شحادة). "مشاهد" (تاليف:

Digitized by Birzeit University Library

غسان عباس وراتب عواودة). "الجن والانس" (تاليف: سليم خوري اخراج: علي نصار. تقديم: فرقة مسرح المركز الثقافي في عرابة). "ثمن الحرية" (تاليف: يوسف صدر. تقديم: فرقة المسرح الاهلي في عبلين). وغيرها.

لجان شعبية لدعم المسرح لانه لا مسرح بدون جمهور - على حد تعبيره - ولان المسؤولين الاسرائيليين غير معنيين بوجود مسرح عربي عندنا.

- في عام ١٩٦٧ تاسس في حيفا "المسرح الناهض". وقد انتج وعرض

مشهد من مسرحية "اغنية مهوه حرب"

برغم كل ما ذكرت قامت بين العرب الفلسطينيين في اسرائيل فرق مسرحية عديدة لكنها لم تعمر طويلا:

في سنة ١٩٦٤ تاسست في الناصرة فرقة "المسرح الشعبي". وكانت اول فرقة مسرحية عربية منظمة جمعت تحت لوائها كادرا فنيا قدم اعمالا جيدة وكان له جمهور من الناصره وخارجها.

بعد ذلك بعام، في ١٩٦٥، تاسست في الناصرة ايضا فرقة "المسرح الحديث" التي نشطت في انتاج وعرض مالا يقل عن خمس عشرة مسرحية. ويقول المخرج المسرحي صبحي داموني ان "المسرح الحديث" هو اول مسرح فكر بتكوين مسرح عربي في البلاد. وفي سبيل ذلك تدارس فكرة تكوين مسرحيات عديدة بما في ذلك مسرحيات لطلاب المدارس. واقيم حوله مجلس شعبي تاسيسي تمحورت اهدافه حول الامور التالية:

١- انشاء مسرح عربي محترف في حيفا.

٢- العمل على توحيد الفرق المسرحية والعناصر الفنية العربية في اطار واحد.

٣- ايصال الوعي المسرحي الى اوسع قطاع ممكن من الجمهور العربي.

- في عام ١٩٦٩ حصل انقسام في "المسرح الحديث" - الناصرة تاسست على اثره "مجموعة انصار المسرح"، التي لم تعمر طويلا ايضا.

- وفي عام ١٩٧١ وقع انقسام في "المسرح الناهض" - حيفا تشكلت على اثره فرقة "المسرح الحر" التي قدمت مسرحية واحدة هي "زغرودة الارض" للكاتب المحلي سهيل اوب نواره. وقد وصفتها مجلة "الجديد" الثقافية بانها "انجح محاولة لكتابة مسرحية عربية في اسرائيل".

- في عام ١٩٦٩ تاسس "المسرح البلدي في الرامة" وقدم اعمالا جيدة مثل "شمس النهار" و "دموع ابليس" لتوفيق الحكيم.

- في منتصف السبعينات تاسست فرق مسرحية اخرى كان اشهرها مسرح "بيت الصداقة" الذي تحول فيما بعد الى المسرح البلدي في الناصرة. ومسرح "الفربال" في شفا عمرو و "المسرح الجوال" في سخنين ومسرح "ابناء البلد" في المغار.

وهناك مسرح "بيت الكرمة" الذي ترعاه مؤسسة "بيت الكرمة" ويقدم اعمالا جيدة ويبقى ابرز عمل قدمه هذا المسرح مسرحية "راس المملوك جابر" (عن مؤلف الكاتب المسرحي السوري سعد الله ونوس) والتي فازت بالجائزة الاولى لمهرجان ١٩٨٩ للمسرح الاسرائيلي الاخر. واخرجها فؤاد عوض.

اما مسرح الناصرة البلدي (بيت الصداقة). فقد توج نشاطه المستمر منذ اواسط السبعينات، وان كان ذلك على فترات متقطعة، مؤخرا، بانتاج المسرحية البلجيكية - الفلسطينية المشتركة "الموجة التاسعة" التي الفها رياض مصاروه واخرجها الفنان البلجيكي ماكس بارفوندري.

ما ذكرته يشكل طرحا سريعا "لتاريخ" المسرح العربي في اسرائيل. وما ينقصني ملاحظته انه مع غياب الفرق المسرحية العربية الراسخة هناك العديد من الفنانين المسرحيين الفلسطينيين اللامعين في الكثير من المسارح الاسرائيلية مثل مكرم خوري، يوسف ابو وردة، سليم ضو، محمد

Digitized by Birzeit University Library

مكرم خوري في مشهد من مسرحية "يفا على البحر"

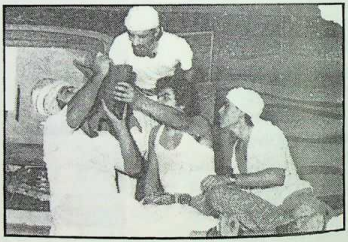

مشهد من مسرحية "رجال في الشمس"

يكري، سلوى نقارة - حداد، غسان عباس، جوني عربيد، سهيل حداد وغيرهم.

وفي السنوات الاخيرة كانت هناك محاولة من جانب "المسرح البلدي في حيفا" لانشاء مسرح عربي تابع له اقتصر نشاطه على تقديم مسرحيات "الجزيرة" و "في انتظار غودو" (فاطريـن غـودو) و "المتشائل".

اجمالا يمكن ان نقول ما يلي في مجال التقييم واستظهار الصعوبات:

١- لدينا فرق مسرحية وكادرات فنية لكن ينقصنا الحدث المسرحي بمثل هذا المستوى.

٢- تضييق السلطات الحاكمة ورقابتها الدائمة والصارمة والدقيقة.

٣- الظروف المادية، غياب الجهاز او المؤسسة التي تتولى الرعاية، صعوبة احتراف الممثلين مما يضطرهم للبحث عن عمل في اطار المسارح الاسرائيلية.

٤- عدم توفر قاعات مناسبة للعروض المسرحية في الغالبية الساحقة من التجمعات السكنية لجماهير الفلسطينيين في اسرائيل، مما يعيق انتقال الفرق المسرحية الى هذه التجمعات.

٥- ندرة النصوص المسرحية المحلية الجاهزة. فتقوم الفرق، حرصا منها على الالتصاق بالواقع المحلي والتعبير عنه، بتاليف نصوصها بنفسها او باستقراض نصوص عربية واخرى عالمية وتعديلها بما ييسر انعكاس بعد الواقع فيها وهذه العملية عادة ما تشتمل على محاذير كثيرة كضعف النص مثلا.

٦- قلة الفتيات اللاتي يقبلن الظهور على خشبة المسرح. وهذا ناجم عن الطبيعة المحافظة لمجتمعنا العربي.

المسرح العبري في اسرائيل (ملامح عامة لمسرح الاحتجاج)

- ينبغي الالتفات الشديد الى ان المسرح العبري وفيما بعد المسرح الاسرائيلي نشأ في احضان الفكر الصهيوني القومي الجامح.

- اذا تكلمنا بلغة التاريخ فاننا لا بد واجدون ان بدايات المسرح العبري تعود الى العام ١٩١٧ - وهو العام الذي تاسست فيه فرقة مسرح "هبيما" في موسكو من قبل مجموعة من الشباب اليهود وكان الهدف من وراء ذلك - كما جاء في ارشيفات هذا المسرح - هو "انشاء مسرح ناطق بالعبرية ومعبر عن النهضة القومية لشعب اسرائيل".

- نجد ايضا ان قادة "اليشوف" الاستيطاني الصهيوني في فلسطين اولت اهتماما خاصا للنشاط المسرحي والنشاط

Digitized by Birzeit University Library

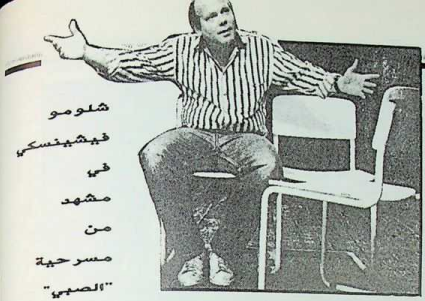

شلومو فيشينسكي في مشهد من مسرحية "الصهي"

الفني عموما في سبيل تسخيرهما لنشر الافكار الصهيونية المختلفة.

- في مركز هذا الاهتمام برز دعم "الييشوف" المادي للفرق الفنية والمسرحية ولدور النشر وذلك بهدف "خلق قاعدة روحية وحدانية للمهاجرين اليهود من مختلف بقاع الارض والمرشحين لان يكونوا مجتمعا قوميا واحدا في فلسطين" (نقلا عن الارشيفات الاسرائيلية).

- مقابل هذا الدعم طلب من تلك الفرق ان تدعم الفكر الصهيوني وان تتناول، في نشاطها، اية مواضيع تسند الاجماع القومي الصهيوني.

- العودة الى الارشيفات تمكننا ايضا من الولوج الى مسالة الصراع بين الشرق وبين الغرب في المسرح الاسرائيلي. ونجد في هذا المجال ان زعماء "الييشوف" حسموا امرهم منذ اللحظة الاولى لجهة تسييد الثقافة الغربية ومسح الهوية والتراث الشرقيين عن اليهود المهاجرين من الدول العربية.

- بالنسبة لهؤلاء كانت الثقافة التي يطمحون الى جعلها ذات نمط اسرائيلي هي ثقافة غربية خالصة اما الثقافة الشرقية فانها، في احسن الحالات، مجرد فولكلور عائد الى مرحلة ماضية.

- في سنة ١٩٥١ اعلن دافيد بن غوريون، رئيس الوزراء الاسرائيلي الاول، ان دولة اسرائيل لن تعمل على تنمية وتطوير الفولكلور الشرقي وانما ستعمل من اجل تغيير المهاجرين الشرقيين وصهرهم في بوتقة الثقافة الاسرائيلية!

- والامر المثير للانتباه هنا انه في سبيل قطع المهاجرين الشرقيين عن اية صلة لهم بالجذور دأبت الدعاية الرسمية الاسرائيلية، منذ بداياتها الاولى، على خلع نعوت عنصريه على اليهود الشرقيين من منطلق الرؤية الاشد عنصرية في تبرير الاختلاف الحضاري بينهم وبين اليهود الغربيين على اساس الانتماء الى "مجتمعات عليا" او الى "مجتمعات دونية"!

- اليكم مثلا واحدا على ذلك:

- في السنوات الاولى لاسرائيل جرى تكليف شخص يدعى زئيف يوسيفون بتاسيس ما يسمى "مسرح المعبورت" (والمعبورت ومفردتها معبراة تعني الحي الانتقالي من "التنك" الزنك الذي جرى توطين المهاجرين الشرقيين فيه و "التخفيف من وطأة استيعابهم في المجتمع الجديد". يوسيفون هذا وصف اليهود الشرقيين بانهم "خليط من الرعاع" وثمة هوة عميقة مثل جهنم بين هذا الخليط وبين مستوطني "الييشوف" (الغربيين)، فافراد الخليط - حسب تعبيره - "بعيدون سنوات ضوئية عديدة عن الحضارة والثقافة، اميون، انقطاعهم الروحاني عن الثقافة اليهودية جعلت منهم ارضا مالحة لا يمكن تحليتها الا عن طريق غسلها المستمر"!

- وعلى ان اعترف ان هناك صراعا محتدا بين الشرق وبين الغرب داخل الثقافة الاسرائيلية ذاتها. لكن هذا الصراع برز، اكثر ما برز، بعد العديد من سنوات الهيمنة شبه المطلقة للقيم الثقافية الغربية على المجتمع الاسرائيلي. وهذا موضوع يشكل، بحد ذاته، محورا كاملا للدراسة والتمحيص ولا يدخل في نطاق مناقشاتنا تماما.

- في تحليلنا للمسرح العبري الاسرائيلي نجد انه منذ العشرينات وحتى يومنا هذا سار هذا المسرح في اتجاهين كانا يتصلان تارة ويتناقضان طورا.

الاول: هو الاتجاه الذي سعى الى تقديم نتاج مسرحي من الريبرتوار العالمي في تعقب دائم ودقيق للتجديدات المضمونية والتقنية الحاصلة في الدراما والمسرح العالمي. واذا كان اصحاب الاتجاه متأثرين، بداية، بتقاليد المسرح الاوروبي الشرقي فان تاثرهم اصبح مستمدا في سنوات الخمسين الاولى من اوروبا الغربية وفيما بعد من الولايات المتحدة.

الثاني: هوالاتجاه الذي يسعى الى انتاج مسرحي ذي مقاييس اسرائيلية في طرحه للمواضيع اليهودية والاسرائيلية وللمسائل المطروحة على جدول الاعمال.

- عدوان ١٩٦٧ او حرب الايام الستة - حسب القاموس الاسرائيلي الرسمي - شكلت فيصلا في تاريخ المسرح الاسرائيلي بمقدار ما شكلت فيصلا في تاريخ المجتمع الاسرائيلي.

تقول الباحثة في شؤون المسرح د. شوش فايتس:

"لا خلاف اليوم على حقيقة ان حرب الايام الستة لا تشكل نقطة تاريخية فاصلة في سيرورة دولة اسرائيل وانما تشكل ايذانا بداية لثورة اجتماعية وفي الاحساس

Digitized by Birzeit University Library

ايديولوجية - ثقافية..

وطبيعي ان المسرح، مثل سائر صنوف الابداع الفني، يشكل تعبيرا واضحا او ترميزيا عن العمليات الاجتماعية السياقية".

- من هنا افتح الباب على مصراعيه لنشوء ما توافعنا على تسميته "مسرح الاحتجاج على جنون الواقع الاسرائيلي"!

- تعتبر مسرنائية "ملكة الحمام" للكاتب المسرحي الاسرائيلي حانوخ ليفين طليعة هذا المسرح والملكة المتوجة له.

- هذه المسرحية عرضت على خشبة مسرح "الكاميري" عام ١٩٧٠ واثارت من الضجيج ومن السخط ما لم تثيره اية مسرحية عبرية في اسرائيل حتى يومنا هذا.

- الجو العام في اسرائيل كان نشوة عسكرية شوفينية تضامى النشوة التي يستشعرها بوش في ايامنا هذه.

- في تلك الفترة راج بين اوساط المبدعين الاسرائيليين اتجاهان واضحان يكمل احدهما الاخر:

الاول: اتجاه الانضمام الى حركة "ارض اسرائيل الكبرى" التي كانت تضم نتان الترمان واوري تسفي غرينبرغ ويؤيدها يهودا بورلا وشموئيل يوسف غفنون.

الثاني: اتجاه الخلود الى الصمت المتواطىء جريا وراء المثل الانهزامي "عندما تزمجر المدافع يصمت الوحي".

واتساق وراء هذا الاتجاه مبدعون عرفت عنهم مواقف سياسية بعيدة عن الركوع في محراب المؤسسة الاسرائيلية مثل عاموس عوز ويزهار سميلانسكي او س. *يزهار.

- في هذا الجو العام قدم ليفين مسرحيته الغنائية، فكانت اشبه بالقنبلة وقدم، من خلالها، قطعا من الحياة الخشنة في مواجهة الفيبيات التي كانت في صلب النشاط المسرحي الاسرائيلي آنذاك.

- ولم يغفل ذلك بالتعميم الواسع لتلك الحياة الخشنة وانما بالتفاف الاعمق الى بواطن الشخصيات بحيويتها، استنادا الى كشف التناقضات بين هذه الشخصيات والمجتمع من ناحية وبين هذه الشخصيات وبين نواتها من ناحية اخرى.

- وبجهود متضافرة من المؤسسة الحاكمة والمسرح الرسمي والصحافة تم اسقاط "ملكة الحمام".. لكن ليس قبل ان تفتح الباب امام اعمال مسرحية اشد قسوة وانتقادا في تقديم قطع من الحياة الخشنة لحانوخ ليفين ذاته يد طولى فيها حتى يومنا هذا.

- لصق مسرح الاحتجاج نجد مسرح التعبير، عن الواقع من خلال طرح مسائل واقعية: الفوارق الطائفية والاجتماعية في المجتمع الاسرائيلي، صراع الاجيال، الحروب ونتائجها وكوارثها. وابرز ممثلي هذا المسرح

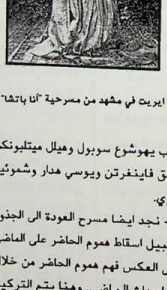

ايريت في مشهد من مسرحية "انا باتشا"

الكتاب يهوشوع سوبول وهيل ميتلبونكت واسحق فاينغرتن ويوسي هدار وشموئيل هسفاري.

- نجد ايضا مسرح العودة الى الجذور في سبيل اسقاط هموم الحاضر على الماضي او على العكس فهم هموم الحاضر من خلال قراءة احداث الماضي. وهنا يتم التركيز كثيرا على الكارثة التي الحقتها النازية باليهود وتاثير ذلك عى الحاضر السياسي لدولة اسرائيل، وعلى العلاقة بين اليهودية والصهيونية كما فعل سوبول في مسرحية "نفس يهودي".

- لا ينبغي الانطلاق من كل ذلك الى القول بان المسرح الاسرائيلي يعيش حالة قطيعة مع المؤسسة الرسمية ومع الفكر الرائج.. صحيح ان هذا المسرح قطع شوطا كبيرا في طرح مواضيع ومسائل مختلف عليها لكن طرحها يتم على استحياء وبحذر شديد يبقي الامر في حدود ما يسمونه في اسرائيل "النقاش الشرعي"، اي من نوع النقاش الذي يثير السخط لكنه لا يزلزل وضعا قائما، الذي يثير النقاش الواسع لكنه لا يخرق حدود "الاجماع القومي" و "الاجماع الاجتماعي" انا شئتم.

وهذا ما يفسر شبه غياب المسرح الساخر الساتيري عن خارطة النشاط والنتاج المسرحي في اسرائيل. وهو ايضا موضوع يحتاج الحديث عنه الى مناسبة اخرى.

اول فيلم

عن احداث الخليج

اول فيلم سينمائي عن حرب الخليج والاحداث الاخيرة هو (العودة والعصفور) يؤدي ادوار البطولة فيه صلاح السعدني وميرفت امين واخراج هاني الحسن.

الفيلم يصور احوال اسرة مصرية عادت من الخليج بعد الاحداث الاخيرة.

Digitized by Birzeit University Library

محاولات قيد التنفيذ

احمد موسى عديلة
القدس

مسكين انت.. حالتك تثير الشفقة، تنتظر الفرج الاتي من وراء الافق البعيد البعيد، او مع غيمة مثقلة تهطل عليك فتروي حرمانك وعطشك، وانت موقن بانك تعيش في جفاء مستمر، والمطر لا يعرف طريقه اليك.

... انهض من سباتك، واخرج من عالمك، وانظر حولك وحالك، لقد ملك كتفك من كثرة الصاعدين عليه، وانت ما زلت تراوح مكانك، انظر كيف وصل غيرك الى ما يجب ان تصل انت اليه، انهض، ان..هـ..ض..

.. نهضت على اثر هذا الهاجس الذي ملأ صداه جدار غرفتي مرعبوا حائرا وجسدي ينزف عرقا مع ان الطقس بارد جدا.. انفاسي متقطعة كرجل في نزعه الاخير، وقفت بجانب النافذة استعيد انفاسي، افكر في فحوى الهاجس الذي اجتاح وحدتي، نظرت خارج الغرفة، علني استدل الوقت، لكني ما رايت سوى الظلام الدامس الذي لا يظهر عليه علامات الجلاء، والسماء ملبدة بالغيوم التي لا تفتر ابدا، والرياح كثيرة الحركة تقتلع من يقف امامها او يستسلم والمكان شاسع ممدود لا ينتهي عند حد افق، شعرت بان الشجر وكل الكائنات الحية الضالة مثلي تشاطرني الألام، ولكن ابقى وحيدا، لا احد سواي في المكان يشعر معي، وحيدا.. ليس غريبا.

عدت بفكري ثانية الى الهاجس الذي ما زال صداه يطرق جدران غرفتي، ويؤرقني، افكر بالحل الذي يخلصني منه، فاذا بالجدران من حولي تنطق كالرعد.. انت كذلك، ماستك انك تنسى او لا تحب ان تتذكر واقعك، فتهرب الى احلامك، اعترف بذلك..

وفي محاولة مني لوضع هدنة بيني وبينه، اعترفت اني قد اخفقت في جميع محاولاتي السابقة - شعرت ان الهاجس غضب من كلمة "محاولاتي"- فتابعت الحديث في محاولة لاسترضائه، واعترف اني فشلت في التقدم خطوة واحده الى الامام في مجالات حياتي، واعترف ان لا احد مسئول عن هذا الفشل سواي، واعدك ان انطلق من جديد، ولكن ارجوك ان تعتقني حتى الصباح.

.. خرجت الشمس من مرقدها خجولة، والضباب يعم الفضاء، تنهدت بعمق شديد، وبلا وعي وجدت نفسي وبسرعة غير معهودة واقفا انتظر مجيء الباص بفارغ الصبر.. حتى اصل الى مكان عملي وافرغ ما بداخلي من كلمات تؤكد على حقوقي في زيادة الراتب الذي اتقاضاه.. والذي لا يسد الاحتياجات اليوميه الاساسية. فهذا هو الموضوع الاهم في حياتي الذي اعتقد جازما انه سبب ارقي وهاجسي في الليلة السابقة.

ركبت الباص وتفكيري منصب فقط حول الاجابة على السؤال الذي طالما سالته لنفسي، كيف سالتقي مدير المؤسسة لاطلب منه تعديل راتبي، وقبل فترة ليست طويلة عرضت الفكرة على المقربين اليه، فرفض الطلب على لسانه؟!

لا بأس - قلت لنفسي - احاول مرة اخرى، اجل، ساكون هذه المرة افضل حالا في الطرح، ساضع النقاط على الحروف، واواجهه بجرأة واقول له، لاتكن انتهازيا تستغل سوء الظروف وقلة العمل وتضطهد عمالك، كن عادلا، واعط كل ذي حق حقه، والا سابقى شاهدا على ظلمك الى الابد.

شعرت بعد ذلك اني التهب حرارة من الداخل، وان هذه الكلمات ترسخت في عقلي ووجداني من تكرارها عدة مرات

مع انتهائي من ترتيب اللقاء في ذهني كنت قد وصلت الى المحطة الاخيرة للباص فنزلت مع النازلين الذين بانت على وجوههم علامات ما اراه في نفسي، فتنهدت الما وبحرقة، وفي الطريق اوقفتني الجريدة المعلقة على

Digitized by Birzeit University Library

جدار أحد الاسوار وكان ذلك من عادتي، فلفت انتباهي كاريكاتير يقول فيه صاحبه* "خايف اطلع اشوف الشمس يقولوا انه عندي تطلعات برجوازية".

امتصصت ضحكتي بالم وتابعت سيري وقد انتابني شعور بالخوف، فبدأت اقلل المسافة بين خطواتي وعدت افكر بلقاء المدير من جهة وما يرمز اليه الكاريكاتير خشية من معنى المفهوم العام لطلبي، هل هو حق ام لا؟!

وما ان وصلت باب عمارة المؤسسة حتى شعرت بان حرارة جسدي قد خفت. وقفت قليلا، افكر باللقاء مرة اخرى واستعيد الكلمات التي رسخت في راسي، وفجأة لاح في مخيلتي زميلي الذي نصحني بعدم مقابلته المدير بكلمات جارحة. تثير الاستفزاز بل اكد لي على طرح الموضوع من جوانبه الاجتماعية والانسانية ومن بين ما قال زميلي، انصحك بان تقول للمدير انني ما زلت في بداية الطريق اذا كان للطريق بداية، واود ان اضع قدماي على بدايته انطلق من خلالها، وبيدك ايجاد بدايتي المنشودة، صعدت الدرجة الاولى - لقد قضيت معك السنوات الكثيرة التي تستطيع من خلالها معرفتي اكثر من نفسي - وصلت الدرجة الثامنة - فانا لست طامعا بل اريد فقط ان اشعر باني من البشر يحيى على وجه الارض، - قطعت نصف المسافة - التفت الى من هذه الناحية وانظر بعين محايدة فاحصة الى وضعي بالمقارنة مع ما ابذله من جهد وما قضيته من سنين، لتعرف كم اعاني من الظلم في نفسي، فماذا يعني تعويضي او تعديل راتبي؟! - اقتربت من الوصول - فانا ما زلت اعيش على تسديد فواتير الماضي فكيف تريدني ان افكر بالحاضر؟! وكيف تريدني ان اتطلع الى المستقبل؟! انني اترك الحكم لك!!.

ومع انتهائي من اعادة شريط كلام زميلي في العمل كنت قد اكملت الدرجات ولم يبق بيني وبين مكتب المدير الا بضعة امتار، توقفت في غرفة الاستراحة وراسي مثقل بالافكار، حتى بانت على وجهي علامات الوهن فغسلته وشربت كاس ماء، خشية ان يلتفت الي احد زملائي شرد فكري واحترت ولم اصل الى قرار يهديني، فتلاشت فكرة اللقاء من راسي وعدت الى عملي دون ان انبس بكلمة واحدة، وبقيت كاظما غيظي، انتظر الفرصة لتكرار محاولتي.

*ملاحظة: صاحب الكاريكاتير الفنان ناجي العلي.

«القرار الاخير»

د. وائل ابو عرقوب

... الساعة تقترب من الثانية صباحا.. وسكون الليل يخيم على كل المنطقة مع صمت كأنه صمت القبور، تخترقه بين الحين والاخر بعض النسمات محركة معها اوراق الشجر والزهور، ويكاد الفجر يطل مبشرا ببدء يوم جديد واشراقه شيء جديد.. «ما كان بالامس سيكون اليوم ايضا، وربما غدا وبعد غد».. كان متمددا في سريره شارد الذهن وسارحا بافكاره مع اعمدة الدخان المتصاعد من بين اصابعه، ومنفضة مليئة باعقاب ورماد السجائر.. وصورة مكبرة لشهادة تخرجه من الجامعة قبل ثلاث سنين بالضبط

... «آه.. كل هذا الدخان دخل الى صدري هذه الليلة.. لا بأس فليس امامي سوى السهر والتدخين، لم يعد بوسعي ان افكر.. نفذ صبري.. اما من حل لهذه المشكلة.. واما من مخرج من هذا المأزق؟؟

قبل ثلاث سنوات تخرج من الجامعة، كانت فرحته وفرحة والديه عظيمة.. «خذ يا بني قسطا من الراحة لشهر او شهرين وبعدها تخرج للبحث عن عمل.. لا بد وانك ستجده بسرعة فمجال تخصصك مطلوب دائما».. لقد مرت ثلاث سنوات وهو في قسط من الراحة طويل "لا عمل ولا ما يحزنون" لم يبق باب الا وطرقه ولم تبق مؤسسة الا وتقدم بطلب اليها علّه يجد عملا.. "ليس مهما نوع العمل.. المهم ان اعمل".. بدأ يضيق باللوم الموجه اليه كل يوم كوجبة العشاء.. "اذهب واعمل في اي شيء.. كفاك كسلا واتكالا.. اعتمد على نفسك.. لعن الله الجامعات والشهادات.. اعمل في اي شيء يا اخي؟؟".

... نعم اي شيء، كل يوم منذ شروق الشمس وحتى مغيبها وانا ابحث عن عمل.. لم اترك اعلانا الا وقرأته واتصلت باصحابه.. "مطلوب موظف.. وظيفة شاغرة.. وظيفة..!" وما ان اصل الى المكان او اتصل به

Digitized by Birzeit University Library

حتى يكون المكان الشاغر قد شغل وبقدرة قادر.. يا الهي هل هناك من يقرأ الاعلان قبل نشره بالجرائد ويسبقني اليه؟؟ لا بد وان هناك لغزا.. انهم يملؤون المكان الشاغر حسب الطلب ومن ثم يعلنون عن الوظيفة.. اي اعلان للمجاملة وبراءة الذمة... ما عليناً.. لافكر بما كنت قد نويت عليه.." غدا سوف ابدأ العمل.

نهض من السرير.. غسل وجهه وبدل ملابسه، فتح الدولاب واخرج منه كمية من النقود كان قد ادخرها للحاجة.. شرد بذهنه بعيدا.. آه اليوم سأبدأ العمل.. سأكسب اول قرش من عرق جبيني وبعدها اكسب كل يوم.. سأتزوج نعم سوف تكون لدي الجرأة لطلب يدها هي بنفسها قالت انها ستنتظرني ولن تقبل باحد غيري.. وضع النقود في جيبه.. وخرج من البيت دون ان يشعر به احد.

في سوق الخضار المركزي كانت الشاحنات تفرغ حمولاتها لبيعها للتجار والبائعين.. تقدم بخطى واثقة نحو احدها وبعد ان تبادل بعض الكلمات مع السمسار المسؤول عنها، اشترى كمية من العنب بقدر ما معه من النقود بعد ان ابقى القليل كأجرة للحمالين.. حملها على ظهر حمار بالاجرة وتوجه بها الى مركز المدينة.. هناك بحث له عن ركن مناسب، وانزل بضاعته فيه منتظرا ان تدب الحياة والحركة في السوق وتدفق المشترين.. «آه سوف ابيع اليوم هذه الكمية من العنب واربح بعض المال فوق رأس المال، وغدا سوف اشتري كمية اكبر.. وهكذا كل يوم.. لعن الله الوظائف والشهادات.. لماذا لم تأتني تلك الفكرة من قبل؟

بدأت الحركة تدب في السوق بين بائعين ومشترين ومتجولين ومدير محركات السيارات والباصات.. توجد اليوم حركة غير عادية.. يبدو ان السوق سيفتح طوال النهار على عكس كل يوم.. هكذا سمع من الناس، .. كان مهتما بترتيب بضاعته والتدليل عليها امام المارة لافتا انظارهم اليها.. فجأة سمع صوت صبي يصرخ.. التفت امامه فرأى بعض الناس متجمهرين ومن بينهم كان رجلان يلبسان الكاكي وبيدهم هراوات يجرون الصبي ويضربونه.. كان المنظر مزعجا ولكنه تمالك نفسه.. «مالي ومالهم المهم ان ابيع بضاعتي واعود».

اخذ ينادي بأعلى صوته.. "خليلي يا عنب".. وبينما هو هكذا حدث ارتباك بين الناس والباعة.. البعض يركض.. والبعض الآخر يلملم بضاعته ويهرب بها. لم يدرك ما الامر الا عندما رأى بضاعته تضيع بين الارجل، كان رجال البلدية والشرطة يطاردون الباعة ويصادرون بضاعتهم.. لم يكد يدرك ما يحدث.. حتى كانت بضاعته قد هلكت عن بكرة ابيها. ووجد نفسه هاربا مع الهاربين.

وبينما كانت احلامه تتلاشى بين ارجل المارة مع حبات العنب، اراد ان يلحق نفسه وينقذ ما يمكن انقاذه منها فاذا به يشعر بضربة على ظهره افقدته توازنه.. فأخذ يركض غير آبه بالالم حتى وصل الى بيته مرهقا مكسوفا والعرق يتصبب منه.

لم يخبر احدا بما جرى.. دخل فورا الى الحمام واغتسل بماء بارد، عاد الى غرفته، دخن سيجارة اخرى نظر الى شهادته المعلقة على الجدار.. وغط في نوم عميق.

مع بزوغ الشمس في اليوم التالي نهض مبكرا دون ان تمدر منه اية حركة ازعاج.. فتح الباب وخرج دون ان يشعر به احد.

بعد غروب شمس ذلك اليوم.. كانوا بانتظاره كالعادة.. ولكنه لم يعد..!!.

Digitized by Birzeit University Library

هنا الجودي

عبد الحميد طقش
خانيونس

ما دام القمح تزغرد في سفر التكوين سنابله
والزيت يموج
وتقطر حبات الزيتون: عتابا
قبل تجلي الخيطين
وحجر الصوان البلدي الصادق
تصنع تمثال الصدق
قبيل الفجر
انامله
***
ياكن فيكون
اذان الصبح
تصلي العيد جحافله
***
هذا دجلة
يصرخ موارا
يا نيل!
اخانا الاكبر!
يا أرباب الفأس الاولى
قولوا لبيك
صباحا
سحقا للفعل الماضي
فلتتوار من الخزي قبائله
***
القلم تلظى شبقا
يا هذا اللوح المحفوظ
الم تكفر "باسم الفعل"
"رويدك"
ان الفعل الحاضر
قبلت الارض الحبلى شفتاه
وفار التنور
وحطمت القدر مراجله
***
ما عاد الربع الخالي قفرا
الا من موالي" قفا نبك"
ومن العيس الظمأى
لحداء الصدق
ملأنا البر فضاق البر
وصعق الربع
فماذا قد قال اوائله
***
اليوم اقول الصدق اقول
هذا الجودي هنا
يا دجلة
باسم الحق اذا تجري او ترسو
الجودي هنا
فلتشعل بحر الظلمات
وتدفنها العين الحمئة
لا حاجة لغروب
يكفي ما دوخت الغيمات
وما عذبت النخلات
آصائله
***
لبيك شقيق النعمان الدامي،
والباسم ابدا
والحافظ لعهود ربيع الوطن
برغم المأتم
فالعرس تضيء مشاعله

اول كانون اول ١٩٩٠

Digitized by Birzeit University Library

الثقافة والخروج على السائد

وسيم الكردي

حين ينبني الحضور الثقافي على مداميك سياسية آنية، ينفجر ويتشظى ويسقط في الساحة الضيقة، وسرعان ما ينكفىء ويتلاشى وفي احسن احواله يبدو خاويا، متصدعا، مشا، لا يتأتى له الصمود ولا الاستمرار، فحينما يتكىء الفعل الثقافي على ما هو خارجه، يفقد كينونته، وتماسكه، وقدرته على التغلغل في اوصالنا، خصوصا اذا ما كان هذا الخارج متمسكا بما هو مألوف وسائد.

واذا ما ابتغى الفعل الثقافي اثبات حضوره مستندا على التناغم مع ما هو قائم، وعلى التماثل مع ما هو موجود، فانه يفقد خاصيته في الحركة ويتمظهر كحالة ثبات ساكنة، ما تلبث ان تتقهقر وتتراجع.

وهنا بالضبط نحن بحاجة الى خلخلة ثقافية، هذه الخلخلة التي تتكشف فيها الاشكاليات، وتنطرح فيها الاسئلة، لنعيد خلق الاشياء والمفهومات، نعيد صياغتها وتأويلها، نخرج من اسارها الى فضاءات رحبة، تحيلنا الى كائنات فاعلة في بنياننا الثقافي الذي يخضع لسلطات قد يكون الاحتلال أولها، ولكنه حتما ليس السلطة الوحيدة التي تهوي بمطرقتها فوق رؤوسنا، وقد يكون بقاؤها تهديدا لكينونتنا ومسارنا، وان كان الامر كذلك فلا يتوجب علينا القاء كل اشكاليتنا الثقافية على مشجبه، واذا ما فعلنا ذلك نكون قد ركنا اليه، ووضعنا ايدينا على خدودنا في انتظار مخلص فضائي لن يأتي ابدا.

فالاحتلال مطرقة مقابلة، نراها في اغلب الاحيان ونعرف في اي الاتجاهات تتحرك، وفي اي الامكنة ستهوي، ولذا نحاول اجتنابها ونقدر خطرها، ونحتاط منها.

غير ان هناك سلطات كثيرة اخرى لا تقابلنا، بل تطفي علينا في دواخلنا، وتهوي بمطارقها فلا نكاد نرى منها سوى انهياراتنا، وقد باتت ركاما.

اول هذه السلطات سلطة "التوزيع الفئوي" التي باتت اساسا في كل حركة من حركاتنا او تجمع من تجمعاتنا التي قد تكون صالحة الى حد ما في عمل سياسي، اما حين يكون الامر مرتبطا بفعل ثقافي ابداعي، فان الامر يصبح مختلفا تماما.

فحينما ينبني الحضور الاداري في كيانات ثقافية مثلا، على اعتبارات سياسية فئوية في الجوهر، فان الامر يبدو هنا، وكأنه قسر وشذوذ فاضح يلوي عنق الثقافة في جانبها الابداعي لتصبح متسعة لما هو ليس ابداعيا، والتخالف هنا لا يكون على وجود الكيان، كتجمع يحيط الكل في داخله، بل قد يكون الاختلاف في كيفية الفعل الثقافي واتجاهاته، والاجتهادات هنا مشروعة، ولا تعيدها الى الامتثال سطوة ما، غير سطوة ما اسميناه فئوية سياسية، لا ترى في المشروع الابداعي سوى طبل يدق ايقاعها الفئوي الذي قد يكون ناشزا على المستوى الابداعي، فينحسر الابداعي لصالح ماهو خطابي تنفيسي، وهذا ليس امرا مقررا، بل يبنى ايديولوجيا على ضوء ما هو ممكن ومتوفر، وليس على ما هو واجب وضروري، فلا ينتقل التفكير الى تطوير ادوات الفعل الابداعي، بل تلفي اشتراطات الابداع وتسحب لصالح ما هو مألوف وموجود، فلا يستحث الابداع من خلال حث المبدعين، بل يكتفى بما هو فيهم لخدمة ما هو فئوي وضيق، وليس المطلوب هنا اكثر من عملية استحثاث، مع انها ليست يسيرة، فهي بمعنى ما تخل عن البوق الخاص، تحرير من قبضة الفئوي، ولذا فامكانات الحث تبدو مستحيلة، لينتقل الامر هنا الى المبدع ليقرره، فهل يهفو الى ان يتمكن الابداع فيه، فيخرج على اسار "السياسي اليومي" كما يسميه محمود درويش لصالح ما هو ثقافي استراتيجي.

والتقرير هنا ليس بمعنى اخذ القرار، فينتهي الامر بالفعل ثقافيا ليصبح مبدعا، بل انه جملة المساهمات الثقافية والاجتماعية والسياسية والمعرفية التي تدفع به ليصبح قادرا على ان يكون مبدعا غير متآلف مع السائد، وليس منسجما مع القائم، وليس متماثلا مع ما هو مورور.

وهنا تتمظهر سلطات اخر، تنشر طغيانها على جسدنا الثقافي خارجا وداخلا، حيث سلطة النصوص الموروثة وسلطة تأويلها وتفسيرها، وسلطة تفسير التفسير حتى وصلنا الى مرحلة انغلاق الفكر وتقيد العقل بثقل الجاهز، الذي لا نالو جهدا في ابقائه على حاله، وان استشرى الصدأ فيه، وهذا ناجم عن سلطة الثقافة السائدة المتغلغلة في دواخلنا التي تنبهر حينا بالمستورد فتمحكه منا او ننكمش في حضرة الموروث فتحكمه فينا او نرتطم بالمألوف فتسلطه علينا.

وحين تكبل السلطات الابداع، ينكفىء وينتكس خاصة اذا ما كانت خارجة عليه، داخلة فيه بكرباجها، فيفقد سلطانه الخاص الذي ينبع من داخله.

واذا ما ارادت الثقافة ان تجد طريقا لها نحو التقدم، لا بد لها من ان تندفع من ارضية التعارض المستمر مع السلطات، اي كان نوعها، لان التقدم يقتضي التجاوز، والتجاوز يرفض التماثل، ويتمرد عليه لكونه حركة دائبة في التغيير والاستبعاد والاضافة، التي هي استشراف لما هو مستقبلي، اما السلطة فهي ثبات وتكبيت له هو كائن وابقاء على حالة راهنة.

Digitized by Birzeit University Library

لوحة للفنان كريم دباح

Digitized by Birzeit University Library

حلم لحظة فرح

قاسم منصور

للعاشقين الطامحين الى الفرح... لحظة فرح... بالرغم من كل عذابات السنة... لحظة فرح... هي لحظة لا ينطوي عنها الزمن، .. لم تستطع كل الخفافيش المقيتة قتلها... لم يستطع جلاد روما خنقها. فعبيد روما دافعوا عنها برايات وجرح... لحظة فرح. يا حاملا عرق الجباه علامة.. ويشد عزمك همتي، لا تنكر... ترفع جبينك عاليا، فالمجد لك، والحق لك، وستثبت الدنيا قريبا، او بعيدا.. ان عزمك لا يموت فانك الزمن البداية والنهاية... ما اعظمك.

ايار.. يا صنع الرجال.. ومن الرجال العاشقين بنيت احلام "الغلابا" الطامحين الى المحال.. وقف الزمان على زمن القهر و "الزمن الحراشي"... وقف الزمان ولم تقف.. وقف الزمان ولم تقف.. وقف الزمان، وانتظرناك زرافات وزرافات... وفرادى... وزمان صحبك لم يحن.. انت النبوءة تالها الانصار من قبل القراصطة القدامى.. انت النبوءة نادت الافواج فيها في المصانع والمزارع والساحات.

ايار.. يمتلك الحقيقة.. والحقيقة ترتدي الاصرار... والاصرار معزوفة

ايار... يا داعي الخليقة، والخليقة لا تساوم، والخليقة تاج هذي الارض والبعد المقام.

ايار لا ترجوا سؤالك.. وسؤالك كانوا الطامعون.. وشعرهم عهر على ابواب قصر الخليفة.

يا جبهة سمراء يا زند قوي... لا ترتجف فهم الضعاف.. ولنهتدي بشعر اصحاب المعاول:

هذي المطارق والمناجل — تحصد الظلام حصدا
وتحرر الانسان حتى — لا ترى في الكون عبدا.

انت البناء.. وبرغم انف الحاقدين... وبرغم احلام الجناة... احلامنا انقى واطهر ودعاتنا للحق اكبر... ايار أنا ننتظر.

انا على العهد الذي كنا عليه.. نجتاز عصر الخوف والارهاب والزمن الحراشي.. ها قادمون وراية كبرى على اكتافنا.. ها قادمون وحلمنا يقودنا لمركز الكون المضيء.. وقد بنينا الكون حلما.. ها قادمون. ومعاول العمال تشرع.. وسواعد العمال ترفع عاليا..

ايار انتظرنا.. حلمنا القادم فينا زيت رحلتنا اليك.. فانتظر.

Digitized by Birzeit University Library